

الحرب النفسية في إسرائيل

الحرب النفسية في "إسرائيل"

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

باحث للدراسات

الطبعة الرابعة/نيسان2011(منقّحة)

بيروت- لبنان

تلفاكس: 01/843882

هاتف: 01/842882

النسخة الإلكترونية

www.bahethcenter.net

information@bahethcenter.net

isdarat@bahethcenter.net

www.neelwafurat.com

الحرب النفسية في "إسرائيل"

مركز بيغن-السادات للدراسات الاستراتيجية

جامعة بار إيلان 2003

قراءة نقدية: د. محمّد أحمد النابلسي

إصدار مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

فهرس المحتويات

تقديم

تعالج هذه الدراسة التي أعدّها الباحث الإسرائيلي "رون شليفر" موضوع الحرب النفسية في كيان العدوّ، من عدّة أبعاد وجوانب. وقد هدف من خلالها إلى التأكيد على أهمية وخطورة هذه الحرب في إطار خوض الصراع مع الأعداء (الفلسطينيين والعرب والمسلمين)، وضرورة الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة ومن تجارب هؤلاء "الأعداء" من أجل تحقيق النصر عليهم في النتيجة، بحسب تصوّره !

وفي إطار سلسلة "إعرف عدوّك"، نقدّم للباحثين والمهتمّين تلك الدراسة (المترجمة عن العبرية) مع قراءةٍ نقديةٍ متخصّصةٍ لها، أعدّها الدكتور محمّد أحمد النابلسي، على أمل أن تسهم في تعميق الوعي بأهداف ووسائل العدوّ التي لا تقف عند حدود، مع سعي الكيان الصهيوني إلى إلباس ممارساته وارتكاباته منذ احتلاله لفلسطين في العام 1948 لبوساً حضارياً يعتمد قِيم الدفاع المشروع عن النفس والتزام المعايير الإنسانية!

إذاً؛ هذه الدراسة التي عرض فيها الباحث الصهيوني بشكل "منهجي" لتعريفات الحرب النفسية وتطبيقاتها المتنوّعة في كيان العدوّ وخارجه، تقدّمتها قراءة علمية موضوعية فنّدت الكثير من ادّعاءات ومزاعم الباحث "شليفر"، مع إيرادها لنماذج من أساليب الحرب النفسية الصهيونية ضدّ العرب والمسلمين، وحتّى ضدّ الأوروبيين الذين يرتبط الكثيرون منهم

بعلاقاتٍ قويةٍ مع "إسرائيل"، بهدف ابتزازهم في كلّ مناسبة، على أساس عقدة الذنب تجاه محرقة اليهود المضخّمة أو المزعومة.

إن اعتداءات "إسرائيل" الراهنة ضدّ الشعب الفلسطيني المقاوم، والتي تحظى بغطاءٍ أميركي وغربي، مع أنها تمثّل خروجاً على كلّ القِيم والأعراف الإنسانية والدولية، هي أوضح نموذجٍ ماثلٍ أمامنا، وحيث لا يمكن لأيّ أساليب دعائيةٍ أو نفسيةٍ أن تغيّر من قساوته ووحشيته. لكن، في المقابل، فإن على نخبنا السياسية والثقافية عدم تجاهل خطورة الحرب النفسية ("الإسرائيلية"- الأميركية) التي تُخاض ضدّنا، وبوسائل مختلفة (إعلامية- فكرية – ثقافية)، وضرورة المبادرة لإعداد أبحاث ودراسات متخصّصة تسعى لكشف نقاط ضعف العدوّ وتحديد وسائل (العمل عليها) في أوقات السلم والحرب.

... معاً، من أجل تحقيق النصر على هذا الكيان العنصري الذي تمكّن –للأسف الشديد- من إقناع الكثيرين في هذا العالم بأنه كيانٌ شرعيٌ وحضاريٌ يعيش وسطٍ عربيٍ وإسلاميٍ محيط متخلّف!

قراءة تحليلية نقدية

د. محمّد أحمد النابلسي*

توطئة

لطالما اعتمدت "إسرائيل" على تفوّقها المعلوماتي وملكيتها لمصادر متعاونةٍ من أجل تكريس تفوّقها الإعلامي والمخابراتي على الدول العربية مجتمعة. و هي تدعم هذا الإعتماد مع تطوّر وسائل الإتصال والرصد وتقنياتها، حتّى وصل الأمر إلى حدود السخرية بالإمكانيات المعلوماتية العربية ومصادرها؛ وهي سخريةٌ كرّسها التزام "إسرائيل" عملية ضرب المفاعل النووي العراقي لصالح الولايات المتحدة، والتي أدخلت المخابرات الإسرائيلية في شراكةٍ إستراتيجيةٍ مع نظيرتها الأميركية.

لكنّ مجيء الرئيس الأميركي ريغان، ومعه جناح الأثرياء الصقور، جعل مراجعة هذه الشراكة مسألة ضرورية. تلك المراجعة التي هيّأت أجواء الإنتفاضة الفلسطينية الأولى، والتي انطلقت كصورةٍ من صور الإحتجاج

* الأمين العام للاتحاد العربي لعلم النفس- مدير مركز الدراسات المستقبلية.

المدني المطابق للمواصفات الأميركية. وبما أن "إسرائيل" تعلن التزامها بهذه المواصفات، فهي أحرِجت أشدّ الإحراج في تعاملها الوحشي مع تلك الإنتفاضة. وتمخّضت المراجعة الأميركية عن اتفاق أوسلو، الذي ولِد ميتاً لكونه إجباراً لإسرائيل ومرفوضاً عربياً بسبب استجابته لاستراتيجية الإحتيال بتفكيك المسارات العربية. وها هي "إسرائيل" اليوم تعتبر أن الضغوط الأميركية هي التي أوصلتها إلى حالتها الراهنة الحرجة.

خلال تلك الفترة، إضطرّت "إسرائيل" للاعتراف بالمقاومة الإسلامية اللبنانية عبر تفاهم نيسان (1996). ثمّ إضطرّت للانسحاب غير المشروط من لبنان عام 2000 ولخوض مفاوضاتٍ عسيرةٍ مع حزب الله من أجل تبادل الأسرى والطيّار رون آراد. ومن يعرف الشخصية الإسرائيلية، يدرك مدى رعب الجمهور الإسرائيلي أمام العجز عن شنّ العدوان، إذ يستمدّ هذا الجمهور أمنه من شعوره بالقدرة الكاملة على العدوان.

إن قدرة حزب الله والمقاومة الفلسطينية على إثارة هذا الرعب هي محور الحرب النفسية ضدّ "إسرائيل". ونجاح المقاومات العربية في إثارة هذا الرعب هو نجاح حربها النفسية التي خصّها الباحث الإسرائيلي رون شليفر بالدراسة التي بين أيدينا، في محاولةٍ منه لتفسير وتبرير نجاح هذه الحرب النفسية ضدّ كيانه؛ حيث تتجدّد هذه الحرب مع كلّ تصريحٍ لقيادة المقاومة بملكيتها لقدرة الردع (الصواريخ) أمام العدوان الإسرائيلي.

هذا ويستند المؤلّف إلى الكتب الأميركية في ميدان الحرب النفسية، في محاولةٍ لتجنب التطرّق إلى المبادئ الإسرائيلية للحرب النفسية ضدّ العرب

والمسلمين. لذلك، رأينا أن هذا النقد التحليلي لا يكتمل بدون إعطاء فكرة مختصرة عن المنطلقات الإسرائيلية للحرب النفسية.

الحرب النفسية الإسرائيلية ضدّ العرب

... اليهودي هو إنسانٌ أحدب ونحيف، ذو نظرة غريبة؛ ضعيف ومتمارض؛ عيناه عصبيتان؛ له ضفائر سوداء وذقن؛ شاحب وتتبدّى عليه بسرعة علائم الشيخوخة والتجاعيد والرعشة؛ يرتدي ملابس أوروبية باهتة وبالية، وعلى رأسه قبّعة أو طاقية.

أما من حيث الشخصية، فهو منغلق وغريب في كلّ مكان. يستولي عليه الخوف والشكّ، يبتعد عن مخالطة الناس، ثقيل الحركة، ويفتقر إلى اليقظة والنشاط؛ ليس لديه تقدير لذاته؛ منحط، صامت، خجول، مرتبك، روتيني، يعجز عن الاستمتاع بالمباهج.

هذه الصورة ليست من صنع معادين للسامية، بل هي نتيجة دراسة نفسية قام بها الباحثان الإسرائيليان "تامارين وبن تسافي" في العام 1969، وهدفت إلى تبيّن صورة "اليهودي الشتاتي" في عيون يهود السابرا. وبإمكاننا التأكيد على أن هذه الصورة كانت أكثر قتامة قبل حرب 1967، وأنها بالتأكيد أشدّ ظلامية في عيون غير اليهود. لذا كان من الطبيعي أن تتركّز الحرب النفسية للحركة الصهيونية على ترميم هذه الصورة. وبمتابعة الجهود الصهيونية في هذا المجال، نجد أنها اعتمدت على الشخصيات اليهودية أو ذوي الأصول اليهودية، ولو كانوا يتنكّرون ليهوديتهم. وقد هدفت هذه الجهود إلى:

1- تخليص اليهودي من أسْر الأساطير اليهودية، عن طريق اعتماد العلمانية وتخليق أساطير جديدة مستوحاة من التراث اليهودي.

2- تجنّب الصدام مع التراث الأوروبي المعادي للسامية، وانتهاز فرصة عداء النازي لها لتفجيرٍ محدودٍ لهذا الصدام؛ ومن هنا التركيز على "الهولوكوست".

3- التآمر على "أعداء" الفكر الصهيوني وتشويه صورتهم. وهؤلاء الأعداء هم:

أ - العرب بصفتهم أعداء دائمين ومشتركين وتاريخيين!

ب – اليهود الذين يربطون قيامة "إسرائيل" بظهور الماشيح(المسيح).

ج – اليهود المعادون مبدئياً للصهيونية.

د – الأيديولوجيون المعادون للصهيونية.

أما عن السبل التي سلكتها الحركة الصهيونية لتحقيق هذه الأهداف، فيمكن تلخيصها على النّحو التالي:

1- تأمين التمويل من أثرياء اليهود وتسخير نفوذهم لمصلحة هذه الحركة العنصرية.

2- إستغلال الانتشار اليهودي في العالم وتشجيعه لاعتناق الصهيونية، عن طريق إقامة المؤسسات الصهيونية في بلدان الانتشار.

3- تعميم حال الذعر من "الهولوكوست" بين يهود العالم لدفعهم إلى اعتناق الصهيونية.

4- إستغلال الظروف الدولية لتشجيع الهجـرة اليهودية إلى فلسطين.

وقد اتخذ هذا الإستغلال الصهيوني أشكالاً مختلفة، منها:

أ - الاتفاق مع النازية لتهجير اليهود تحت طائلة التهديد بالإبادة.

ب - الضغط على الدول الشيوعية للسماح بهجرة يهودها إلى فلسطين.

ج - عقد صفقات تهجير جماعية، وصولاً إلى دفع بدلٍ عن كـلّ مهاجر.

هذه باختصار أهداف الحرب النفسية-الصهيونية والسبل المستخدمة لتنفيذها.

أمّا إلى المحاور الرئيسية لهذه الحرب، فهي:

1- الشائعات بديلة للأساطير

... ولقد فضحها روجيه غارودي في كتابه "الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل"، حيث اقترح إبدال مصطلح "الأساطيـر" بمصطلح "الشائعات". فالأسطورة هي قناعةٌ تاريخيةٌ لا يحتاج المؤمن بها لإثباتها. أما الشائعة، فهي طرحٌ راهنٌ (أو حديث العهد) يمكن التحرّي للتحقّق من صحّته. ومن أبرز الشائعات التي قامت عليها الحرب النفسية الإسرائيلية نذكر:

أ - الهولوكوست (المحرقة): ونحن بغنىً عن ترداد الشكوك حول المبالغات الصهيونية بشأنها. وحسبنا التذكير بالاستغلال السيكولوجي لها. إذ تُعرض صورها في معارض سنوية حتّى اليوم، وتُستغلّ في تفجير مشاعر الذنب تجاه اليهود. كما تُستغلّ في إحياء مشاعر الذعر والهلع عند يهود العالم، بما يرسّخ "إسرائيل" كملاذٍ آمنٍ لهم ويجبرهم على دعمها. ولعلّ

من أبرز أسباب رواج هذه الشائعة الغاطسة، التي تظهر وتختفي ثمّ تعاود الظهور، فتُستقبل بالقبول والتصديق. وعلى هذا النوع من الشائعات تركّزت الحرب النفسية الصهيونية، التي يمكن اختصارها بإعادة إحياء الأساطير على شكل شائعاتٍ غاطسة.

ب – معادلة بن غوريون: أطلق بن غوريون هذ المعادلة عقب نكبة 1948، حين كان عدد سكّان "إسرائيل" 700 ألف وعدد السكّان العرب 28 مليون، فرأى أن الصهيونية إنتصرت بنسبة يهودي واحد إلى أربعين عربياً. وهذه المعادلة تتناغم مع أسطورة "الشعب المختار" وتفوّق اليهود على الأغيار. بل إننا نلاحظ أن الشخصية اليهودية القائمة على الأساطير قد حوّلت هذه المعادلة إلى أسطورة. لذلك، راحت "إسرائيل" تبذل جهوداً مستميتة لتأمين هجرة يهودية (روسيا،الفالاشا وغيرهم) من أجل الحفاظ على هذه المعادلة. وهي ترى في اختلالها خطراً على استمرارها.

ج – شائعة "أرضٌ بلا شعب لشعبٍ بلا أرض": وهي شائعةٌ تلامس أسطورة " أرض الميعاد ". لكنّ الوقائع التاريخية تبيّن أن اليهود كانوا يملكون نسبة 3,5% من الأرض عند صدور وعد بلفور عام 1917، و 6,5% منها عند صدور قرار التقسيم عام 1947؛ ثمّ أصبحوا يملكون 93% من الأرض في العام 1983. وتفاوت هذه النسب يبيّن كذب تلك الشائعة، كما يبيّن حجم الاحتيال الإسرائيلي في مصادرة الأراضي. ولقد نشر "إسرائيل شاحاك" قائمة بأسماء 385 قرية فلسطينية أُزيلت بالجرّافات من أصل 485 قرية كانت مسجّلة في العام 1948؛ وهذا يقدّم الدليل القاطع

على ممارسات "إسرائيل" للتطهير العرقي في محاولةٍ لتحويل هذه الشائعة إلى واقع.

د – شائعة "إسرائيل دولة عظمى": ولقد عاد "اليهود" الذين أقاموا مستعمرة "بتاح تكفا" ومعهم الهجرات اللاحقة لغاية العام 1947، بناءً على وعدٍ صهيونيٍ بإقامة دولةٍ يهوديةٍ بالتوافق مع الدول العربية المحيطة بها، وبدون حروب. بل تضمّن الوعد احتمال انضمام هذه الدولة إلى فيديرالية عربية، وذلك بحيث تُستبدل أسطورة "إسرائيل الكبرى" بشائعة "إسرائيل العظمى" التي تستغلّ دول الجوار؛ وتتحوّل بذلك إلى دولةٍ صناعيةٍ عظمى.

ويتبدّى تراجع الصهيونية عن هذه الشائعة عبر عصاباتها الإرهابية التي افتتحت إرهاب الحرب العالمية الثانية وما بعدها. وبالرغم من إقامة الدولة اليهودية على حكم زعماء العصابات والإرهاب، فإن الصهيونية لم تتخلّ يوماً عن هذه الشائعة.

وهنا أتوقّف للإشارة إلى أن الدعم العسكري والمعنوي المطلق الذي تتلقّاه إسرائيل يبرّر تفوّقها العسكري. لكنّ هذا التفوق لم يمكّنها من تحقيق هذه الشائعة. وحسب الشعوب العربية أنها تصدّت لهذا الحلم الصهيوني الذي نراه اليوم وهو يعاود الظهور تحت مسمّيات "الشرق أوسطية" و"تطبيع ما بعد السلام" وغيرها من المسمّيات الخادعة.

2 – تلميع صورة اليهودي البشعة

.. وهي المهمّة الأصعب التي واجهتها الصهيونية. فقد ترسّخت عورات

ومساوئ هذه الصورة عبر قرون، وأصبحت جزءاً من التراث الإنساني! وهي بلغت حداً من السوء جعل اليهود أنفسهم يرفضونها وينفرون منها. وحسبنا هنا التذكير بما يقوله مؤلّف موسوعة اليهودية الدكتور عبد الوهاب المسيري؛ إذ يؤكّد بأن الحضارة الغربية قد ذوّبت اليهود، فلم تبقِ منهم سوى أعداد ضئيلة، وهم كانوا مرشّحين لأن يحصوا عشرات الملايين لولا تذويبهم في الحضارة الغربية. وبهذا، يلتقي "المسيري" مع علماء المستقبليات الذين يؤكّدون على كون الحضارة الغربية حضارة مذوِّبة.

ومهما يكن، فإن المهمّة كانت عسيرة وتطلّبت جهوداً غير اعتيادية. وهي تضمّنت الخطوات التالية:

أ – <u>إبراز الشخصيات اليهودية</u>: إنطلقت الصهيونية من منطلقاتٍ علمانية؛ بما يعني أنها كانت رافضة للصورة اليهودية التقليدية. وهذا الرفض ينسحب على الشخصيات اليهودية المعاصرة لنشوء الصهيونية. بل ربّما أمكن القول بأن هذا الرفض المشترك هو الذي أعطى للصهيونية إمكانيات الانطلاق والتحرّك.

وهكذا كانت الصهيونية في حلٍ من اعتماد التصنيف الديني لليهود. فراحت تباهي وتُبرز الشخصيات اليهودية حتّى ولو كانت ملحدة ورافضة للدّين اليهودي؛ وهي تمكّنت عبر علمانيتها وعبر هذه الشخصيات من إظهار اليهودي بمظهر "العبقري المتفوّق" . هذا النجاح كان أبرز انتصارات الحرب النفسية – الصهيونية، وهو أحد أخطر الشائعات الصهيونية. فهؤلاء "العباقرة" كانوا أبناء الحضارات التي عاشوا فيها والظروف الحضارية المتوافرة

لهم؛ حتّى أن غالبيّتهم كانت رافضة لانتمائها اليهودي. وحسبنا هنا التذكير بما أورده سيغموند فرويد (اليهودي) في كتابه المعنون بـ"موسى والتوحيد"؛ ومنه نقتطف: كانت الشروط الأساسية (أيام موسى) تتنافى مع تحوّل الإله اليهودي (وهو قوميٌّ محض) إلى إلهٍ كوني. فمن أين تأتّى لهذا الشعب الصغير البائس والعاجز صلف الادّعاء بأنه الإبن الحبيب للربّ...".

"... إنه لممّا يبعث على الدهشة أن يختار الإله لنفسه على حين بغتة شعباً من الشعوب ليجعل منه شعبه المختار ... إن هذه الواقعة يتيمةٌ في تاريخ الإنسانية. فقد يحدث أن يختار شعب من الشعوب إلهاً جديداً؛ ولكن، لم يحدث قطّ أن اختار إلهٌ من الآلهة شعباً جديداً!

ب – <u>التشبّه بالمعتدي</u>: وهذا التشبّه هو أحد آليّات الدفاع النفسي، حيث يحاول المخطوف التقرّب من خاطفه والتشبّه به، بهدف الدفاع عن نفسه وجلب الإطمئنان لها. وهذا تحديداً ما فعلته الصهيونية منذ قيامها، حيث تشبّهت بالمعتدي عبر اعتناقها القِيم العلمانية التي تتناقض مع الشخصية اليهودية وتلغيها؛ وعن طريق هذا التشبّه، تمكّنت الصهيونية من طرح مفهوم "صورة اليهودي الجديد". وقد لاقى هذا الطرح نجاحاً، وهو كان السبب في تشجيع الصهيونية على متابعة سلسلةٍ من التشبيهات بالمعتدي؛ ومنها نذكر:

- <u>التشبّه بالمعتدي البراغماتي</u>: كان الأميركيون منذ مطلع القرن العشرين شديدي الحذر من الخطر اليهودي، حيث قادتهم براغماتيتهم إلى تفضيل عدم قبول اليهود على قبولهم وتذويبهم في ما بعد (كما فعل الأوروبيون). لكنّ الصهيونية تشبّهت بهذا العدوّ البراغماتي، لدرجة إقامة دولةٍ بدون تاريخ

على غرار دولته (أي الولايات المتحدة). بـل إن التشبّه الصهيوني بالولايات المتحدة قـد بلغ حدود اعتبار "إسرائيل" الولاية الحادية والخمسين، بما يستتبع ذلك من اعتبار أية إدانة لإسرائيل إدانة للولايات المتحدة نفسها. فاللاجئون الفلسطينيون يقابلهم الهنود الحمر، وملكية الأسلحة النووية تقابلها قنابل هيروشيما وناغازاكي، ونابالم بحر البقر تقابلها نابالم فيتنام؛ وقِس على ذلك!

ج – الكيبوتزات: كانت هذه المستعمرات الزراعية الأداة الرئيسية لتسويق صورةٍ لامعةٍ لإسرائيل ولليهودي الجديد، حيث طرحت هذه الكيبوتزات رمزاً عالمياً لتجمّعاتٍ إنسانيةٍ متحضّرة. فكانت "إسرائيل" تستضيف فيها عشرات الآلاف من الشبّان من مختلف أنحاء العالم، وتترك لسكّان هذه المستعمرات مهمّة إقناع هؤلاء بصورة "اليهودي الجديد". بل إن الصهيونية استعادت عن طريق هذه المستعمرات آلاف الشبّان مـن ذوي الأصول اليهودية!

3 – الحرب النفسية ضدّ الشعوب العرب

هنا نتساءل: "كيف تحوّل الجبان الذليل إلى معتدٍ شرس؟". إحدى الإجابات على هذا السؤال تقدّمها لنا السيكولوجيا، وهي الآليّة الدفاعية، المذكورة أعلاه، المسمّاة بالتشبّه بالمعتدي. إن الوقائع التاريخية تُثبت لنا استعداد الصهيونية لمناقشة مسألة إقامة وطنها القومي في مكان آخر غير فلسطين. وفي هذا ما يثبت أن عداء الصهيونية للشعوب العربية هو عداء انتقائيٌّ واختياري، حيث انطلق هذا العداء من استعداء الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية ضدّ العرب؛ وذلك بناء على إغراءاتٍ متعدّدة، أهمّها:

أ – تحوّل اليهود إلى إرهابيين وممارستهم للإرهاب على شعوب أوروبية. وبالتالي، فإنه من الأفضل تقنين إرهابهم وتحويله نحوالعرب.

ب – الخلاص من حثالات "الغيتو" المترسبة في دولٍ متحضّرةٍ منذ قرون، والعاجزة عن التكامل في مجتمعات تلك الدول.

ج – تقديم تعويضٍ مادّيٍ لمذابح النازيين التي أثارت رعب اليهود في شتّى أنحاء العالم، حيث كان للحرب النفسية دورها في تعميم هذا الرعب.

د – الفوائد المادّية على مختلف الصعد، حيث إقامة دولة تتطلّب مستلزمات يقدّمها أثرياء اليهود، (في مقدّمتها السلاح)، وحيث توفير التعويضات، وأيضاً الرشاوى التي دفعها الصهاينة، والمتجاهلة حتّى الآن.

على هذه الأسس تمّ اختيار الشعوب العربية لتكون كبش الفداء. وتمكّنت الصهيونية من جرّ الجميع إلى التواطؤ وقبول هذا الاختيار، بعد أن أصبحت تهمة " معاداة اليهود " بمنزلة الفضيحة الأخلاقية الخاضعة لمحاكم نورمبرغ؛ وذلك دون تمييزٍ بين عداءٍ مبرّرٍ يأتي كردٍ على فعلٍ عدواني، وبين عداءٍ غير مبرّر. وهكذا بدأت الحرب النفسية الصهيونية ضد العرب باختيارهم بديلاً للنازي وبالتالي أعداءً لجميع الدول المنتصرة". وبعد اطمئنان الصهيونية لإقامة دولتها، بدأت الحرب النفسية ضدّ العرب، وهي حربٌ غير مرشّحة للانتهاء حتّى في حال حصول "السلام المستحيل". وتضمّنت هذه الحرب الخطوط العريضة التالية:

– تشويه صورة الانسان العربي.

– تعزيز تمثيل "إسرائيل" للحضارة الغربية بما من شأنه تحويل أيّ عداءٍ عربيٍ تجاهها إلى عداءٍ لهذه الحضارة.

- الحرب النفسية المباشرة.

4ـ تشويه صورة العربي

ويعتمد هذا التشويه على أسسٍ سيكولوجيةٍ مُحكمةٍ تقـوم على العناصر التالية:

أ – التصوّر الغربي للإنسان العربي: وهي صورة بشعة رسمها الغرب من رؤية المستعمر. وبالتالي، فإنها صورةٌ تغلب عليها الدوافع العدوانية، وهي تتلخّص كالآتي: العربي هو إنسانٌ منزوٍ ومندفعٌ وراء شهواته؛ وهو نزقٌ لا يقيم وزناً إلاّ لعنجهية عظامية (بارانويا)، كما أنه لا يحترم أيّة مُثل (بما فيها مثل مجتمعه)، إلاّ بمقدار تدعيمها لعظاميته؛ وهو متخلّفٌ وجاهلٌ وعاجزٌ عن استيعاب مبادئ المساواة، لدرجة عجزه عن فهم مبدأ الطبقة الوسطى. وهو إمّا فقيرٌ مُعدم، أو ثريٌّ فاحش الثراء؛ وهو انفعاليٌ يمكن أن يصل إلى حدود التطرّف الهوسي. (لا بدّ من الإشارة إلى أننا مدينون للاستشراق بهذه الصفات).

ومن الطبيعي أن تستغلّ الصهيونية هذه الصورة المزيّفة، وأن توظّف إمكانياتها الإعلامية (السينما خصوصاً) لترسيخ قباحتها.

ب – التضليل الإعلامي: وقد مارسته الصهيونية لحدود الاستنفاد؛ وأخطر صوره:

1 – اليهودية هي قومية (بدليل أن "إسرائيل" وطن قومي لليهود)؛ أما العروبة، فهي ديانة (بدليل أن 80% من الأميركيين يعتقدون أن إيران وباكستان هما دولتان عربيتان)!

2 – إن إسرائيـل تملك تاريخـاً، وأنهـا أسبق من العرب في ملكيّتها للأرض. (ولكن ماذا عن المخطوطات التاريخية التي تُخفيها إسرائيل، وتمنع المؤرّخين من مجرّد الاطّلاع عليها؟).

3 – إن "إسرائيل" تحمي مصالح الغرب في المنطقة، وهي بمنزلة الخادمة لمصالحه (ولكن ماذا عن الفقر الزاحف إلى دولنا النفطية؟).

ج – الإرهاب العربي: يُقاس نجاح "إسرائيل" في تسويق صورة العربي كإنسانٍ عدوانيٍ إرهابيٍ عبر وقائع عديدة، منها أن الإعلام الأميركي ومعه الرأي العام الأميركي وجّها التهمة إلى العرب فور وقوع انفجار أوكلاهوما (الذي كان من صنع الميليشيات الأميركية البيضاء).

والخطير أن تهمة "الإرهاب العربي" تكرّست بأبحاثٍ أكاديميةٍ تعتبر أن أصل الإرهاب يعود إلى جماعة " الحشّاشين " العرب، وبأن هذه الجماعة هي التي اخترعت "الإرهاب".

5 – الحرب النفسية المباشرة

.. وهي عموماً حرب شائعات؛ لكنّ صورتها الأكثر بشاعة تتجسّد فيها تمارسه الصهيونية ضد اليهود العرب عبر الحركات الدينية المتطرّفة، والتي ترغب في الانتقام من أصولهم العربية ومن العرب عموماً.

أما عن الشائعات الصهيونية، فحدث بلا حرج؛ ومنها نذكر:

أ – معادلة بن غوريون: التي تدفع بالعربي للإحساس بضآلته وبعجزه

أمام اليهودي – الصهيوني. وهذه مجرّد شائعة، لأن الصهيونية تسلّمت الأرض على طبقٍ من فضّة بسبب الموافقة الدولية، وليس بسبب انتصارها المدعوم خارجياً أيضاً.

ب – شائعة اللجوء: أطلقت "إسرائيل" شائعة لا تزال تتداولها لغاية اليوم. وقوام هذه الشائعة أن الفلسطينيين لم يهربوا من مذابح إبادة على غرار كفر قاسم ودير ياسين، بل إنهم تركوا أرضهم بناءً على أوامر الجيوش العربية التي كانت تنوي إبادة اليهود بعد خروج العرب!

ج – شائعات الخيانة: وهي شائعات جاهزة ضدّ أيّ زعيمٍ أو مسؤولٍ عربيٍ يُحرج إسرائيل. أما المتعاملون معها، فإنهم يحظون بلقب " المتحضّر الليبيرالي "!

د – شائعة التضامن اليهودي: وشقّها الآخر هو شائعة التشرذم العربي. فالتضامن بين سكّان "إسرائيل" يستند فقط إلى وجود العدوّ العربي وإلى تغذية الصهيونية للرغبة اليهودية بالعدوان كسبيلٍ وحيدٍ للشعور بالأمان. ودون ذلك، فإن يهود "إسرائيل" ليسوا سوى خليطٍ من الأعراق والثقافات التي لا يجمعها جامع؛ وهم متشرذمون شرذمة الشتات الذي أتوا منه.

أما عن التشرذم العربي، فهو حاصلٌ لو تمّ قياسه باللحظة السياسية-الاقتصادية الراهنة. لكن، هذه ليست سوى لحظة. فالشعوب العربية باقيةٌ في أرضها، ومتمسكةٌ بها بدخلٍ فرديٍ لا يتجاوز 10% من مثيله في "إسرائيل". لكنّ الفارق بين الإثنيـن هو الفارق بين الأسطورة وبين التاريخ.

مناقشة وتحليل

بعد هذه التوطئة، ننتقل إلى مناقشة دراسة الباحث الإسرائيلي "رون شليفر"، أستاذ العلوم السياسية في جامعة بار- إيلان وباحث في معهد بيغن- السادات للدراسات. وهو يتساءل في هذه الدراسة: كيف أمكن للمنظمات الفلسطينية وحزب الله أن يحقّقا إنجازاتٍ عسكرية وسياسية ملحوظة، رغم الضعف العدديّ والعتادي؛ فهجمات حزب الله أدّت إلى خروج "إسرائيل" من لبنان، والانتفاضة الأولى أدّت إلى إقامة دولة الأمر الواقع للفلسطينيين؛ بينما لا نعرف ماذا قد تسفر عنه الانتفاضة الثانية من نتائج!

ويفترض الباحث أن كلّ هذه الإنجازات العربية كانت مرتبطة بصورة مباشرة بحرب المعلومات، أو ما يسمّى بالحرب النفسية. ومن هنا، كان اهتمام "شليفر" بالتوطئة لدراسته بفصلٍ حول المنطلقات المفاهيمية للحرب النفسية، وذلك في محاولةٍ منه لتقديم بعض الرؤى المستقبلية لدعم الموقف الإسرائيلي على صعيد الحرب النفسية.

ولقد وزّع المؤلف دراسته على فصول أربعة هي التالية:

الفصل الأول : ماهيّة الحرب النفسية

يتخطّى المؤلّف إشكالية عدم اتفاق الباحثين على تعريفٍ دقيقٍ وشاملٍ للحرب النفسية، فيختصرها على أنها عملياتٌ تُستخدم فيها وسائل إقناعٍ غير عنيفةٍ لتحقيق أهداف الحرب العسكرية، مع التأكيد على أن الحرب النفسية لا تحسم الحروب العسكرية وإنما هي مجرّد أداةٍ إضافيةٍ لتحقيق أهداف الحرب.

إن مصطلح دعاية taamola هو أساس المفاهيم، بسبب إعطائه معلوماتٍ من أجل تحقيق أهدافٍ سياسية. ولهذا المفهوم دلالاتٌ سلبية؛ ولذلك يتمّ التقليل من استخدامه.

وفي "إسرائيل"، يستخدمون المصطلح hasbara، ومصطلح الحرب النفسية لوصف العمليات الدعائية التي تهدف إلى تحقيق الغايات المطلوبة في المجال العسكري في زمن الحرب .

وفي محاولة تهرّبٍ واضحةٍ من تقديم أمثلةٍ ورؤىً إسرائيلية، يلجأ "شليفر" إلى الكتب والمراجع والمصادر الأميركية للتدليل على ممارسات الحرب النفسية وتطبيقاتها. ومن الطبيعي أن يكون هذا العرض متضمّناً للمغالطات الأميركية المعهودة في هذه المجالات. ومن هذه المغالطات، نذكر التالية:

1- يقول شليفر أن الرسائل الأميركية قد خفّفت من حب العراقيين لبلدهم، وأحيت خوفهم على مصير عائلاتهم (ص 3)، الأمر الذي أدّى إلى تحطيم روحهم المعنوية. وهي مزاعم تدحضها إستمرارية المقاومة العراقية وتصاعدها.

2- يتجاهل المؤلّف واقعة انتماء تلك الرسائل الأميركية إلى الشائعات الغاطسة، التي تعاود الظهور في مناسبات معيّنة مثل الحرب [**].

3- يتبنّى الباحث مصطلحاً أميركياً خادعاً هو "القنابل التمثيلية" (ص3 و4). وهي لم تكن تمثيلية بحالٍ من الأحوال؛ إذ أن صوت هذه القنبلة

[**] بالعودة إلى كتابنا (الحرب النفسية في العراق)، يجد القارئ أن معظم هذه الرسائل قد سبق استخدامها في حرب العراق الأولى.

كان يشمل كلّ السكّان ويصيبهم بحالة تخدير حواسي (Anesthesie Affective)، كما يسمّيها العالم مينكوفيسكي. وروى المتعرّضون لهذه الأصوات أنهم كانوا يصابون بشلل الحواس لمدّةٍ تتراوح بين 10 و20 دقيقة. وعليه، فإن هذه القنابل هي قنابل إرهاب تكتيكي وليست بالتمثيلية.

4- يبرّر "شليفر" توزيع الإستخبارات الأميركية على أجنحة بأنه نتيجة التصادمات السياسية الأميركية (ص 4 و5). وفي التبرير إيحاء بانقسام المخابرات الإسرائيلية لأسبابٍ شبيهة. في حين أن المعروف في تقسيم الأجهزة المخابراتية هو تخصيص كلّ جهازٍ منها بتصنيع المعلومة بما يتناسب والشريحة المستهدفة بهذه المعلومة؛ حيث يتبدى تناقض تصنيع المعلومات بين الأجهزة بصورٍ كاريكاتوريةٍ في مناسباتٍ عديدة. وتكفي هنا العودة إلى إشارات "نعوم تشومسكي" لهذه التناقضات في كتاباته العديدة.

5- يتوقّف الباحث عند مرحلة " التعزيز والتقوية " (ص 7)، ويعطي عليها مثالاً الفشل الإسرائيلي في إقامة وتطوير العلاقات مع المدنيين والأحزاب في الجنوب اللبناني... وبذلك، هو يتجاهل استحالة تطوير مثل هذه العلاقات بسبب طبيعة النزاع وديمومته. وربما أراد هنا الإشارة إلى نجاح "إسرائيل" في تحقيق اختراقاتٍ أمنيةٍ عبر متعاونين فلسطينيين. وهو هنا أيضاً يتجاهل أن استشهادياً واحداً يهزأ من كلّ هذه الاختراقات ويشلّها مهما بلغ مستواها من الأذى.

6- يتجاهل الباحث السؤال الذي يطرح نفسه حول نجاح الأميركيين في تحقيق مرحلة التعزيز والتقوية في العراق بعد احتلاله؟.

أما من الناحية النظرية، فيرى المؤلّف أن الحرب النفسية ترتكز إلى ثلاثة عناصر هي:

- الجمهور المستهدف بالرسائل المخابراتية.
- الرسائل المخابراتية.
- وسائل إيصال الرسائل المخابراتية.

وهو يقسم الجمهور المستهدف إلى ثلاث فئاتٍ هي:

- الداخل
- العدوّ
- الجمهور الحيادي.

هذا، ويُقسم الجمهور المستهدف بدوره إلى ثلاث فئاتٍ هي:

1- الجمهور الداخلي (الداخل): ويُعتبر الهدف الأكثر أهمية. فعندما تريد دولةٌ ما تجنيد كلّ طاقاتها للحرب، فهي ملزمةٌ بإقناع مواطنيها للقبول بأن يكونوا ضحايا محتملين لهذه الحرب.

2- جمهور العدوّ: وهذا القطاع ينقسم إلى: عسكريين ومدنيين، والهدف هو إقناع العدوّ، بأن لا أمل له في النصر، وأنه كلّما انتهت الحرب بسرعة كلّما كان ذلك أفضل له .

3- الجمهور المحايد، وهم الناس الذين لا توجد لديهم علاقة مباشرة بالمعارك، وذلك بهدف الحصول على تأييدهم.

أما بالنسبة للرسائل المخابراتية، فهناك مجموعةٌ من الرسائل التي تُصاغ لتُنقل إلى الجمهور المستهدف، وهي تتغيّر بتغير الفئة المستهدفة:

- رسائل لجمهور الداخل، وهي رسائل تُلبِس العدوّ لباساً شيطانياً.
- رسائل لجمهور العدوّ، وتظهر عدم وجود أملٍ في كسب الحرب.
- رسائل لعموم المتلقّين، وتتضمّن إيراد أدلّةٍ عن العدالة والأخلاق في الميدان.

وفي النهاية، فإن الهدف الرئيس للحرب النفسية هو زعزعة الوضع النفسي في أوساط جنود العدوّ، ودفعهم إلى التفكير بشكلٍ عام، وطرح أفكارٍ وجوديةٍ بشكلٍ خاصّ.

وفي النهاية، فإن اختيار وسائل وقنوات إيصال الرسائل هو عنصرٌ شديد الأهمية. إذ يجب تحديد قناة الاتصال الأسهل لكلٍ من الفئات المستهدفة، حيث يتمّ التواصل مع الجمهور المحلّي بسهولةٍ نسبيةٍ بواسطة وسائل الإعلام. لكنّ الصعوبات تكمن في اختيار القنوات المناسبة لإيصال الرسائل للعدوّ وللرأي العام العالمي.

الفصل الثاني : تطبيق مبادئ الحرب النفسية من قِبل الفلسطينيين وحزب الله

في هذا الفصل بدأ الباحث بمقاربة الناحية الثقافية – الحضارية، حين ذكر خطأ الرسائل المصرية الموجَّهة للإسرائيليين عام 1948؛ والخطأ يكمن في استعمال هذه الرسائل لآياتٍ قرآنيةٍ بدل المقاطع التوراتية (ص 12). وهي

ملاحظة متكرّرة حتّى الملل علّنا نتعلّم صياغة رسائلنا بدون هذا النوع من الأخطاء. كما لا بدّ من التذكير بتفوّق إسرائيل في صياغة مثل هذه الرسائل، استنادا إلى "الإسرائيليات" المزروعة في تراثنا على الرغم من المراجعات المتكرّرة لها!

هذا ويعتبر "شليفر" أن مجرّد انفتاح العرب المحدود على الإعلام العالمي هو نصرٌ لهم في حربهم النفسية (ص 14). وكأنّ الإعلام العالمي هو احتكار إسرائيلي ممنوع تجاوزه! بل وكأنّ صورة العربي الكريه (الإسرائيلية الإخراج) يجب أن تبقى مفروضة على العالم، بما يذكّرنا بالمرحوم إدوارد سعيد وقائمة من المثقّفين العرب الداعين إلى ضرورة مخاطبة الجمهور الحيادي والرأي العام العالمي لإطلاعه على الحقائق، ولخلق قنوات تواصلٍ معه.

في الصفحة 15 يقول الباحث:" ... حسب الفلسطينين، فإن "إسرائيل" قامت بحربٍ نفسيةٍ لإشعال النزاع داخل المجتمع الفلسطيني... وفي هذا السياق، تبدو الفكرة وكأنها واحدة من تخرّصات نظرية مؤامرةٍ ساذجة؛ في حين تشير الوثائق والوقائع إلى سعيٍ إسرائيليٍ حثيثٍ لإشعال حرب أهلية فلسطينية؛ وذلك منذ قرار الإنسحاب من غزة ولغاية اغتيالها للقادة الفلسطينيين، إلى تجويع الشعب الفلسطيني بحصاره. ومن المحاولات الإسرائيلية لإشعال هكذا نزاع داخلي فلسطيني، نذكر:

1- دراسة تحليلية لشخصية ياسر عرفات (نشرها مركز "باحث للدراسات" بالعربية)، هدفت إلى الإيحاء بضرورة الخلاص من عرفات والحدّ من تأثيره بغرض تعيين رئيس وزراء يقاسمه الصلاحيات، بحيث يتم إصطناع إنشطار

في رأس السلطة، تمهيداً للتخلّص الإسرائيلي من الوعود المعطاة للفلسطينين أيام كلينتون.

2- الإعلانات الإسرائيلية المتكرّرة عن وجود عشرات آلاف المتعاونين من الفلسطينيين؛ وهي تدخل في إطار الحرب النفسية عبر ما يسمّى بشائعات الخيانة والاختراق. وهذا لا يعني إنكارنا لوجود المتعاونين، وإنما يعني التأكيد على استغلال "إسرائيل" لهذه الواقعة وتوظيفها لها.

3- التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية لغاية إجبار السلطة على إقامة تنسيق أمني مع الإستخبارات الإسرائيلية.

4- الإصرار الإسرائيلي على استبعاد فصائل فلسطينية واسعة التمثيل الشعبي، وذلك عبر تصنيفها "إرهابية".

5- العمل على إثارة النعرات الطائفية بمختلف المناسبات والسبل المتاحة.

6- سياسة الإغتيالات الإسرائيلية، التي تمثّل إرهاب الدولة أفضل تمثيل.

هذا ويرى الباحث أن الفلسطينيين أدركوا في مرحلةٍ مبكرةٍ للصراع أن الخيار العسكري لحرب العصابات لن يعطي الثمار المرجوّة. ولذلك، هم وظّفوا الكثير من الجهد في مجال الإقناع (الدعاية)، وكان العمل المبذول يستهدف فئات الجمهور الثلاث في آنٍ معاً (الفلسطيني والإسرائيلي والعالمي).

لقد كانت الرسالة الأساسية للانتفاضة تتلخّص في أن الاحتلال الإسرائيلي غير عادلٍ وغير أخلاقي؛ وهذا أمرٌ شاذٌ يجب أن ينتهي. وكان الهدف هو أن يتمّ الإثبات للمسيطِر أن الأرباح التي يجنيها من بقائه على الأرض الفلسطينية هي أقلّ بكثيرٍ من الكلفة. ومن أجل ذلك، عرِضت

آلاف الحوادث التي تؤكّد هذا المبدأ. وهنا ذكر الباحث نقطة من أهمّ نقاط التفوّق الفلسطيني في مجال الحرب النفسية، وتتعلّق بحالة القهر التي تجعل الفلسطينيين يتقبّلون عرض صور الجرحى والقتلى والمشوّهين وغيرهم من الضحايا؛ وهي صورٌ لا يتحمّلها الجمهور الإسرائيلي في صفوفه، لأنها تولّد لديه مخاوف هستيرية يصعب على الأجهزة الأمنية السيطرة عليها.

بالانتقال إلى حزب الله، يرى الباحث أنه نجح في فرض نموذجه على دولةٍ عظمى عسكرياً. وكان الجمهور الأوّل المستهدف بدعاية حزب الله هم السكّان المحلّيون في جنوب لبنان، حيث أُرسلت لهم رسائل تؤكّد على خيانتهم للوطن إن هم تعاونوا مع المحتلّ. أما الجمهور الثاني، فكان العدوّ الذي يضمّ الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي. وقد تمّ دمج العمل النفسي مع العمل العسكري المقاوِم، حيث استطاع حزب الله تحديد نقطة الضعف لجيش جنوب لبنان العميل واستخدمها في حرب العصابات. وقد جنّد الحزب عملاء له داخل هذا الجيش؛ وهؤلاء أعطوا الانطباع بأن كلّ شيءٌ مكشوف أمام حزب الله، ممّا أسهم في انهيار الروح المعنوية لجيش لبنان الجنوبي .

لقد أعطى الإلمام بالثقافة الإسرائيلية ثماره من خلال الاستفادة في تشكيل الرسائل؛ فقضية الأسرى الصهاينة لدى المقاومة، وخاصّة الطيّار "رون أراد"، وكذلك المفقودون، شكّلت سوطاً مؤلماً لإسرائيل. فموضوع افتداء الأسرى لا يزال محفوراً بشكلٍ عميقٍ في الثقافة اليهودية؛ وقد أجاد حزب الله في استغلال هذا العامل الثقافي بحسب المؤلّف.

كما تطرّق شليفر إلى حرب الإنترنت بين إسرائيل وحزب الله، حيث رأى

أن مواقع الإنترنت التابعة للحزب تمكّنت من إيصال رسائل مخيفةٍ للجمهور الإسرائيلي، ممّا دفع بالسياسيين إلى طلب وقف هذه الحرب.

لكنّ المتابع لحقيقة ما حدث يجد أن التفوّق التقني – المعلوماتي الإسرائيلي قد تمكّن من تدمير بعض مواقع حزب الله. وفي المقابل، وجّه الحزب رسائل إلى العرب والمسلمين في أنحاء العالم من المتخصّصين والمهتمّين بالإنترنت، فكانت النتيجة تأسيس نواة معلوماتية ضخمة يمكنها التحوّل إلى تجمع إنترنت عالميٍ ومتعدّد اللغات والجنسيات ضدّ "إسرائيل"؛ وهذا ما أجبرها فعلاً على التراجع. وبالمناسبة، من الملائم أن نستمرّ في توجيه مثل هذه الرسائل والحفاظ على علاقاتٍ تواصليةٍ مع العرب والمسلمين لتحويل النواة من حالة طوارئ إلى حالةٍ منتظمة.

الفصل الثالث : المصطلح الإعلامي hasbara : تحليل تنظيمي ومفاهيمي

العنوان بحدّ ذاته مضلّل، فصفة الفشل هي ترجمة لجنون العظمة الإسرائيلي. إذ تحظى "إسرائيل" عبر يهود العالم بسيطرةٍ إعلاميةٍ تتخطّى حجمها الطبيعي بعشرات الأضعاف. وبالنظر إلى هذا التضخم، فإنه من الصعوبة بمكانٍ زيادة مستوى الهيمنة الإعلامية الإسرائيلية. ويمكننا هنا أن نسرد جملة كتاباتٍ يهوديةٍ تتقزّز من أسلوب استغلال "إسرائيل" للمحرقة؛ ونعرض في ما يلي لنماذج منها:

خرافــة المحرقــة

عند نهاية الحرب العالمية الأولى، صرّح القائد الألماني "لاندروف" أن

اللورد نورث كليف، (صاحب جريدة التايمس)، هو الذي كسب الحرب، وليس لويد جورج (رئيس وزراء بريطانيا). وتفصيل ذلك أن "التايمس" كانت قد نشرت في عددها الصادر في 1917/4/16 خبراً، هو مجرّد شائعة، عن وجود مصنع ألماني لتذويب الجثث واستخدامها علفاً للخنازير وسماداً للأرض. ثمّ أتبعته في الأيام التالية بأخبار مؤكّدة له، وجارتها في ذلك بقيّة الصحف الانجليزية. ولم تتّضح الرواية رسمياً إلاّ في 1925/10/25، حين نشرت إحدى المجلاّت الإنجليزية الحقيقة. فقد وقعت برقيّة بيد مراسل "التايمس" حول مصنع لاستغلال جثث الحيوانات؛ فما كان من المراسل إلاّ أن حرّفها، محوّلاً المصنع إلى استخدام الجثث الآدمية بدل الحيوانات. وعبثاً حاول الإعلام الألماني تكذيب هذه الشائعة!

ولو اتبعنا أبسط مبادئ الحرب النفسية وسيكولوجية الشائعات، لوجدنا أن هذه الشائعة كانت أولى الشائعات المرشّحة للإطلاق في الحرب العالمية الثانية. فهي تسيء إلى إنسانية الألمان، وتوقد الحماسة في أعدائهم. إن شائعة المحرقة هذه هي من نوع الشائعات الغاطسة التي تنكشف وتذبل لتعاود الظهور في الظرف المناسب. لكنّ شائعة محرقة الحرب الثانية تمّ تبنّيها من قِبل اليهود وهم لا يزالون مصرّين عليها، ومعادين لكلّ من يشكّك فيها. وهم مستمرّون في استثمارها.

علماء الدعاية يحدّدون لها عتبات؛ ففي المرحلة الأولى، تعطي الدعاية نتائج إيجابية تتصاعد تدريجياً حتّى تبلغ العتبة الأولى (قمّة التأثير الدعائي)، التي لا يكون الاستمرار بعدها مجدياً. فإذا ما حصل، فإنه قد يوصل موضوع

الدعاية إلى العتبة الثانية. وفيها تصبح آثار الدعاية سلبية، فتؤدّي إلى النفور وتعطي نتائج معاكسة لتلك المرجوّة منها.

هذا المبدأ ينطبق على الدعاية التجارية كما على السياسية. ولعلّ مبالغة "إسرائيل" في استغلال "الهولوكوست" خير مثالٍ على المبالغة الدعائية، حيث وصلت دعاية المحرقة إلى حدودٍ تنفّر قسماً" من اليهود وتثير اشمئزازهم وتقززهم[1]. ولو راجعنا الكتابات حول صدمات الحروب ومعاناة الأُسر، لوجدنا المعاناة اليهودية تحتلّ الواجهة، على الرّغم من وحشية الحروب التي عرفتها البشرية خلال القرن الماضي ولمّا تزل. وبمراجعة الكتابات اليهودية في هذا المجال، نقع على بحوثٍ كاريكاتيريةٍ تثير الاشمئزاز وتستثير الضحك وتطرح موضوع أخلاقيات البحث العلمي والتزوير قيد المناقشة. مثال ذلك بحثٌ نشره الطبيب روبرت فيش في المجلّة البريطانية للطبّ النفسي العام 1989 تحت عنوان "التكتّم ومشاعر الفقدان لدى الناجين من الكوارث"[2].

ويعرض لحالة امرأة في الثامنة والخمسين، عانت من مخاوف الاعتقال عندما رحِّلت إلى مخيّم للاّجئين اليهود يوم كان عمرها 12 سنة. وهي تشكو من عوارض يصرّ فيشر على علاقتها بالخوف من النازي، علماً بأن مراجعة بسيطة لعوارضها تبيّن أنها من العوارض المألوفة لدى الجميع في سنّها!

هذه المبالغة ومثيلاتها تثير قرف الباحثين العلميين؛ ومثلها المبالغات على

(1) Bryan Appleyard:Stop. in the name of the Holocaust. In the Sunday times 10 /6 /2000.

(2) Fisch Robert: Alexythymia. masked Depression and Loss in a Holocaust survivor,in British journal of psychiatry.154(1989) Reflections of the Explatation of Jewish.

الصعد الأخرى من إعلامية ومعارض للهولوكوست وأفلام وغيرها. بل إن هذه المبالغة تثير مسألة حقوق الانسان وتدعو إلى مراجعتها بصورةٍ جذرية. فلو راجعنا أعداد وظروف الضحايا التي تسقط في لحظة قراءة هذا النصّ، لوجدنا أن عالمنا الراهن مزروعٌ ببراكين الصراع المتفجّرة وبالمجاعات والفقر والتهجير وغيرها من المآسي. فهل يتوجّب على الإنسانية أن تتجاهل وتهمل كلّ هذه الكوارث وتقف على أطلال "الهولوكوست" منتحبة ومستمرّة في تقديم الاعتذارات، بعد مضيّ أكثر من ستّين سنة على حدوثها، بحسب ادّعاءات الصهاينة.

لقد تحوّلت مسألة "الهولوكوست" إلى عملية ابتزازٍ دوليٍ وتاريخيٍ منظّم، حتّى تحوّلت مناقشة هذه المسألة إلى واحدةٍ من المحرمات (التابوات)، حيث تعرّض العديد من المفكرين والأساتذة الجامعيين للاضطهاد بسبب "الهولوكوست"، ومنهم روجيه غارودي وغيره من الباحثين الذين تطرّقوا للموضوع فنالتهم ممارسات الارهاب الفكري؛ بدءاً بالطرد من الوظيفة وصولاً إلى الاعتداء الجسدي والتهديد، مروراً بتحطيم واجهات المكتبات التي تبيع كتب هؤلاء. وهكذا احتكر اليهود حقّ الحديث عن "الهولوكوست" وتقديم الدراسات والآراء حولها!

وبطبيعة الحال، فإن تهمة "اليهودي الذي يكره نفسه" جاهزة ضدّ كلّ يهوديٍ يسيء استخدام هذه الحصرية في حقّ مناقشة المحرقة، وخصوصاً عندما يتجرأ هذا اليهودي على مناقشة ونقد السلوك اليهودي في استغلال الهولوكوست. ومع ذلك، فإن عدداً لا بأس به من الكتّاب اليهود تجرؤوا على

اتخاذ مواقف ناقدةٍ لهذا السلوك ومكذّبة للايحاءات والمبالغات اليهودية في هذه القضية. ومن أهمّ الكتابات اليهودية في المجال نذكر:

1ـ صناعة الهولوكوست /تأملات حول استغلال المعاناة اليهودية(3)

هو عنوان كتاب للأكاديمي الاميركي اليهودي "نورمان فينكلشتاين"، المتحدّر من عائلة فقدت معظم أقاربها في المعتقل النازي؛ وكان والداه من الناجين من معسكر اعتقال في "وارسو" (بولونيا).

بادىء ذي بدء، يسأل القارىء: لماذا يورّط "نورمان" نفسه بنشر هذا الكتاب الذي يلصق به تهمة "لا سامية الأنا" ويحوّله إلى هدفٍ للإساءة اليهودية، ويحرمه من المساعدات التي يمكنه الحصول عليها بصفته اليهودية!

هذا السؤال ليس صعباً بالنسبة إلى نورمان إذ يجيب عليه بعفويةٍ كرّرها في عدّة لقاءاتٍ ومقابلاتٍ صحافية. وهو يقول: لا أستطيع السماح لأحدٍ باستغلال عذابات والديَّ والمتاجرة بهما، مهما كان الهدف من ذلك!

ويذكر المؤلّف بأن والده بقي حساساً تجاه تجربة الأسر وذكرياتها، لدرجة أنه كان يرفض دائماً الحديث عنها أو تذكّرها، وذلك على عكس والدته التي كانت تجد لذّة ما في تكرار الحديث عن هذه الذكريات (بما ينسجم مع الرغبة النسوية الاستعراضية والميل للمبالغة)؛ ولكنّها مع ذلك أعربت عن اشمئزازها وقرفها عندما شهدت بدايات تصنيع "الهولوكوست" في أميركا.

من عنوان الكتاب يلفتك مصطلح "صناعة"، وهو ذو دلالة بالغة؛ فهو

(3) Finklestein Norman: the Holocaust Industry: Syffering, verso Books. New york 2000.

ينطوي على تهمةٍ لليهود باصطناع الهولوكوست. فكيف تمّ هذا الاصطناع، وما هي أسس صناعة المحرقة بحسب المؤلّف؟

يقول "نورمان" بأن معلوماته الخاصّة تشير إلى أن العدد الحقيقي للناجين من الأسر النازي هو 50 ألف ناجٍ، توفّي 20 ألف منهم في الأسبوع الأوّل التالي لتحريرهم (وبمراجعة الكتابات المتخصّصة، نجد أن وفاة هذه النسبة ثلث المحرّرين تتطابق مع نتائج دراسات طبية ونفسية وسيكوسوماتية عديدة). ويضيف نورمان بأن العدد الحقيقي للناجين يصبح 30 ألفاً. لكنّ صناعة الهولوكوست بدأت بعد ذلك؛ إذ شهد نورمان نفسه على ادّعاء أصدقاء والديه بأنهم من ضمن الناجين! (وهو ادّعاء كاذب طبعاً، إلاّ أنه حظي بتشجيع يهودي صهيوني وبتجاهل أية محاولةٍ لضبط أعداد الناجين وتمحيص ادّعاءاتهم). ويتابع "نورمان" بأن هذه الادّعاءات (صانعة الهولوكوست) قد وصلت إلى قمّتها في الخمسينيات والستّينيات؛ حتّى تحوّل معظم أصدقاء والديه، كذباً، إلى ناجين ومعتقلين سابقاً.

بناءً على هذه المعايشة، وعلى رفضه المتاجرة بعذابات والديه، يقرّر "نورمان" بأنه يميل أحياناً للتفكير بأن أسوأ ماحدث للهولوكوست هو اكتشاف اليهود لها. فقد أدّى هذا الاكتشاف إلى تضخيمه وتوظيفه لنشر الأكاذيب ولتورية الجرائم الاسرائيلية البشعة؛ وهو يرى أن الاسرائيليين شرِهين وطمّاعين لدرجة المتاجرة بعذابات البشر ومعاناتهم، وهذا ما يدفعه لاعتبار المتاحف والمعارض والاحتفالات التذكارية، التي تُقام بمناسبة المحرقة، مجرّد "سيرك" (مع ما تحمله كلمة سيرك من دلالةٍ استعراضيةٍ ومن استغلالٍ

للإنسان والحيوان). أما عن مطالبة إسرائيل للبنوك السويسرية بأموال اليهود، يعتبر المؤلّف هذه المطالبة نوعاً من أنواع النصب والاحتيال الذي تقوم به دولة وليس أشخاصاً. ويضيف بأن التصنيع المبالغ (تحوّل جميع اليهود بعد فترة إلى ناجين من المذابح) والعروض الفظّة لقضية الهولوكوست كان من شأنها أن تحرّك المشاعر المعادية للسامية وتعيد إحياءها، خصوصاً في أوروبا وأميركا.

أما عن تجارة الهولوكوست، فيرى نورمان أنها بدأت في أميركا بعد حرب (1967). فقبلها، لم يكن للمحرقة وجود في الحياة الأميركية؛ ويظن بعضهم أنها أدخِلت لجلب التعاطف مع اسرائيل. وذلك على عكس ما يعتقده المؤلّف، إذ يؤكّد أن إحياء ذكريات الهولوكوست وعرضها على الجمهور الاميركي شكّلا خدمة للاستراتيجية الأميركية. فبعد انتصار "إسرائيل" في حرب (1967)، تحوّلت إلى ربيبة أميركا المنتصرة وحامية القِيم الاميركية؛ وهو وجهٌ كانت تحتاجه الولايات المتحدة بعد خسارتها حرب فيتنام؛ وبالتالي، بعد عجزها عن حماية القِيم الأمريكية وفقدان مصداقيتها أمام الفيتناميين الجنوبيين وأمام الجمهور الأميركي نفسه. وبمعنىً آخر، فإن أميركا كانت أكثر حاجة لانتصار (1967) من إسرائيل نفسها. وهكذا وجدت النخبة اليهودية الأميركية الطريق ممهدة لرفع راية الدفاع عن اسرائيل، وأيضاً لابتداع صورة هولوكوست أميركية مناسبة. لقد استغلّت هذه النخبة مواقعها المميّزة ونفوذها، بحيث باتت الولايات المتحدة مزروعة بالمتاحف والمعارض التذكارية للهولوكوست اليهودي. كلّ ذلك في مقابل تجاهلٍ تامٍ لمذابح "هتلر" بحقّ الغجر (شركاء اليهود في الهولوكوست)؛ وكذلك لضحايا

الشيوعية وهم يفوقون ضحايا الهولوكوست بعدّة أضعاف (بحسب المؤلّف). ويؤكّد فينكلشتاين على أن عدد ضحايا الغجر في الهولوكوست يفوق عدد اليهود؛ ومع ذلك، يتمّ تجاهلهم، وكذلك تجاهل الملايين الذين قضوا نتيجة تجارة الرقيق والهنود الحمر الذين تعرّضوا للإبادة في اميركا لذلك، فهو يضيف أن وجود متحف للهولوكوست في واشنطن يتعارض مع غايات متاحف اخرى للجرائم التي ارتكِبت عبر التاريخ الأميركي.

وينهي فينكلشتاين بأن الهولوكوست كانت تجربة جعلت والداه يتعاطفان مع معاناة المضطهدين من البشر؛ وهما لم يعتقدا بأن تجربتهما كانت ظاهرة منفردة في تاريخ البشر، كما يحاول تجّار الهولوكوست اظهارها.

2ـ الهولوكوست في الحياة الأميركية(4)

عندما يتصدّى كاتب يهودي أميركي للمواضيع المحرّمة (تابوات) للّوبي اليهودي الأميركي، فإن هذا اللوبي ينتقم على طريقته الخاصّة. فاللوبي اليهودي الأميركي يستثمر هذه التابوات اليهودية، وخصوصاً المحرقة (الهولوكوست) أفضل استثمار.

لذلك، يُطرح سؤال مزدوج مع كلّ كتابٍ يصدره يهودي ويتضمّن معارضة لأساطير وشائعات اللوبي اليهودي الأميركي. الوجه الأوّل للسؤال هو: لماذا يجيب هذا اللوبي بكلّ ما يملك من عدوانية؟ والثاني: لماذا يضع المؤلّف نفسه في وضعية" اليهودي كاره نفسه"؟.

(4) Novick Peter: The Holocaust in American life.

بالنسبة للشطر الأوّل من السؤال، فإجابته أن اللوبي لا يريد أن يخسر شيئاً من مكاسبه وسيطرته المالية(16 من أصل 40 من أغنى أغنياء أميركا هم من اليهود، ومتوسط دخل الأميركي اليهودي 45 ألف دولار ... إلخ).

أما الجواب عن الشطر الثاني، فهو يتعلّق بالدوافع الذاتية الخاصّة بالمؤلّف. فقد قبل تشومسكي تهمة لاسامية الأنا مدفوعاً بأفكاره الماركسية، وقبلها فينكلشتاين دفاعاً عن ذكرى والديه. وها هو مؤلّف كتاب "الهولوكوست في الحياة الأميركية" البروفسور بيتر نوفيك يعرِّض نفسه بدوره لهذه التهمة؛ فلماذا؟.

تخرج من قراءة الكتاب بانطباعٍ مفاده أن المؤلّف يريد أن يدافع عن الهولوكوست، ويريد تعويض الخطأ البنيوي في الشخصية اليهودية التي تستغلّ الأمور دون أن تعرف متى يجب أن تتوقّف أو أن تنسحب. فقراءة نوفيك للهولوكوست تعتمد على النظرية الاستقرائية؛ وهي تقول باختصار أن استمرار اليهود باستغلال الهولوكوست، بعد أكثر من نصف قرنٍ على حصوله، لا بدّ له من أن يعطي نتائج عكسية ومضادّة لمصلحة اليهود. ويحدّد نوفيك هذه النتائج الضارّة بالنقاط التالية:

1ـ إنها تحوّل هتلر إلى بطلٍ تاريخي، وتجلب له الدعاية.

2ـ إنها تجعل الرأي العام يميل للاعتقاد بصوابيّة ما فعله هتلر، بدليل هذا التنظيم اليهودي الفائق والمستمرّ بعد أكثر من نصف قرنٍ على وفاة هتلر.

3ـ إعادة احياء مشاعر "معاداة السامية" كنتيجةٍ طبيعيةٍ للدّعاية المكثّفة والمبالغة والابتزاز الناجم عنها.

4ـ خلق أجواء معاديةٍ لليهود لدى المجموعات الأخرى التي تعرّضت للاضطهاد؛ سواء في الهولوكوست أو في مناسباتٍ أخرى.

وبالرّغم من هذه التحليلات التي تحتمل النقاش، فقد قامت جريدة "نيويورك تايمز" بشنّ هجومٍ عنيفٍ على المؤلّف، واصفة إياه بإستاذ التاريخ الجاهل الذي لا علم له بالتاريخ، وخاصّة بالتاريخ اليهودي. وتوصلت الجريدة إلى الجزم بأن كتاب نوفيك (أستاذ التاريخ بجامعة شيكاغو) هو كتابٌ لا معرفيٌّ وفاقدٌ للمعلومات!

من جهته، يرى "نوفيك" أن هنالك موقفان يهوديان من المحرقة. الأوّل يقول بأن مذابح الماضي هي مناسبة تعيسة، على اليهود أن يذكروها بالاعتكاف (وهذا الموقف ينسجم مع الأنثروبولوجيا الثقافية اليهودية التي تضمّ حائط المبكى إلى نظمها الرمزية). أما الموقف الثاني، فكان يدعو لاستغلال رؤية المسيحيين وهم يبكون لرؤيتهم مناظر التعذيب في الهولوكوست. وهذا البكاء يعكس مشاعر ذنبٍ تستحقّ الاستغلال من خلال استعراضية مشاهد الهولوكوست.

ويرى "نوفيك" أن الغلبة كتِبت لأصحاب الموقف الثاني. ولكنّه يأخذ عليهم جملة ملاحظات هي في الواقع انتقادات تستفزّ هذا الفريق من اليهود؛ وتتلّخص بـ:

1- من الخطأ إدخال العذابات اليهودية في التاريخ الأميركي، بحيث تصبح جزءاً من هذا التاريخ، لأن هذه العذابات لم تحدث في أميركا أصلاً. وبالتالي،

فإن إدخالها قسراً في التاريخ الاميركي هو تزوير يستثير المشاعر اللاسامية.

2- إن محاولة استغلال تعاطف غير اليهود وشعورهم بالذنب هي محاولة لتجنيدهم للعمل لصالح الصهيونية. وهذا الاستغلال قد نجح لفترةٍ ما، لكنّه بدأ يعلن فشله عبر ما يمكن ملاحظته من تبرّم قطاعٍ من الأميركيين من تكرار حكاياتٍ مضى عليها أكثر من نصف قرن.

3- إن تكرار الحديث عن مذابح المحرقة كلّ هذا الوقت جعل اليهود يظهرون وكأنهم فخورين بما فعله بهم هتلر؛ وكأنهم يتسابقون مع الآخرين حول من تعذّب أكثر ليستحقّ عطفاً أكبر!

4- استغلّت "إسرائيل" حرب (1973) لتوريط مباشر للولايات المتحدة ولإعادة إحياء قلق اليهود الأميركيين من احتمال حدوث هولوكوست جديدة في الشرق الأوسط. وكذلك استغلّت قلق هؤلاء اليهود من احتمالات عدم تكرار التدخل الأميركي المنقِذ لإسرائيل في حال تكرار الموقف المهدّد لإسرائيل.

وينهي نوفيك بإشارةٍ إلى أن مجموعة هذه المبالغات تدفع بأعدادٍ متزايدةٍ من الناس للإحساس بأن هتلر كان محقاً في ما قال وما فعل!

3- مذكّرات رودلف فربا[5]

وهو أحد الفارّين القلائل من معتقل "أوشفيتز" وقد نشر هذه المذكّرات

(5) هذه الملاحظات حول علاقات الصهيونية بالنازية باتت مؤكدة بالوثائق. ويتكرر ذكرها في أغلب المراجع الحديثة التي تتناول تلك الفترة. ولعل المؤرخ العربي وليد الخالدي هو اقرب هذه المراجع واسهلها بالنسبة إلى القارئ العربي.

في العام 1961 في جريدة " لندن دايلي هيرالد". وممّا يقول فيها: أنا يهودي. وبالرغم من يهوديتي، فاني أدين بعض القادة اليهود بابشع اعمال الحرب. فهذه الفئة من الخونة علمت بما يحدث لإخوانها، لكنّهم فضّلوا شراء أرواحهم بالصمت عمّا يجري! ومن هؤلاء د.رودولف كيستنر (المندوب الدائم للمؤتمر اليهودي العالمي ورئيس فرع هنغاريا). لكنّ صاحب هذه المذكّرات يبدو جاهلاً بطبيعة العلاقة بين كيستنر (والصهيونية عامة) وبين النازية. فقد كشفت محاكمة أدولف إيخمان عن وجود علاقةٍ وثيقةٍ بينه وبين كستنر؛ إذ يقول عنه: "... لقد كنّا نثق أحدنا بالآخر". وكان همّه الأكبر هو تمكين مجموعة مختارة من يهود هنغاريا من الهجرة إلى "إسرائيل".

هذه الانتقائية (النخبوية) تتّفق مع تحديد بن غوريون بشأن انتقاء القليل من جموع اليهود في ترتيب عملية الهجرة إلى فلسطين، على أن يكونوا من الشباب الذين يستطيعون فهم معنى "الوطن القومي اليهودي" ووضع طاقاتهم وإمكاناتهم لخلق ظروفٍ اقتصاديةٍ ملائمةٍ لمتابعة الهجرة!

لكنّ الناحية التي لم يدركها "فربا" هي أن الصهيونية كانت تعي استحالة تهويد فلسطين إذا بقي اليهود مصرّين على البقاء حيث هم في البلدان التي يعيشون فيها. وكان التفاهم مع أعداء السامية هو طريقة الصهيونية لدفع هؤلاء اليهود باتجاه فلسطين. ولقد وصل هذا التفاهم إلى حدود التحالف؛ ومن مشاهده:

1- لقاء في العام 1923 بين موسوليني وبين رئيس المنظمة الصهيونية العالمية حاييم وايزمان، حيث أكّد فيه الأوّل دعمه لتهويد فلسطين!

2- لقاء في 13 تشرين الثاني (نوفمبر) 1934 بين موسوليني وناحوم غولدمان، وافق فيه موسوليني على فكرة تأسيس "المؤتمر اليهودي العالمي".

3- تشير وثائق عديدة إلى وجود علاقة بين الصهيونية وبين هتلر قبل تسلّمه الحكم. كما تشير هذه الوثائق إلى تلقّي الحركة النازية لتبرّعاتٍ صهيونية.

4- ملاحظة لا يمكنها أن تكون بريئة، وهي أن السلطات النازية كانت تصادر وتحرق كتب سبينوزا وآينشتاين في ألمانيا، وتسمح بإعادة طبع كتاب هرتزل "الدولة اليهودية".

5- ملاحظة لا تقلّ عن سابقتها إثارة للشكوك، وهي منح السلطات النازية للثري الصهيوني مندلسون لقب "مواطن آري بمرتبة الشرف"، في الوقت الذي كان يُساق فيه آلاف اليهود الفقراء إلى المعتقلات.

وبناءً على هذه المشاهدات، يؤكّد نائب الكنيست السابق "يوري أفنيري" بأن اهتمام الحركة الصهيونية، وقت وقوع المحرقة، لم يكن موجّهاً إلى اليهود على الإطلاق؛ بل كان موجَّهاً إلى إقامة دولةٍ يهوديةٍ في فلسطين!

4- بن هيكت "الخيانة"

في كتابه الذي يحمل عنوان "الخيانة"، يقول بن هيكت بأن مئات الألوف من اليهود كانوا يُجمعون في الغيتوات تمهيداً لإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال، دون أن يعرفوا المصير الذي ينتظرهم. ولم تكن الصهيونية لتهتم إلاّ بنخبةٍ مختارةٍ من اليهود. وحين كانت تفشل في إدخال هؤلاء المختارين إلى

فلسطين، فإنها كانت تحكم عليهم بالموت دون تردّد؛ ثمّ تقوم بشنّ الحملات الإعلامية الضخمة للإتجار بدماء ضحاياها! ويعطي بن هيكت مثالاً على ذلك، ما حدث للباخرة "باتريا" عام 1942، التي وصلت إلى ميناء حيفا وعلى متنها المئات من المهاجرين اليهود. لكنّ السلطات البريطانية رفضت السماح لهم بالنزول، وعرضت عليهم التوجه إلى مدغشقر. عندها، قام الصهاينة بنسف الباخرة بمن فيها؛ وأعقبوا هذه الجريمة بحملةٍ دعائيةٍ واسعةٍ ادّعت بأن ركاب الباخرة نفّذوا انتحاراً جماعياً لتفضيلهم الموت على مفارقة الوطن(انظر أسطورة الماسادا). ويقول بن هيكت إن الصهاينة كرّروا الفعلة نفسها بالباخرة "سترومي".

5- الباخرة شترن

نشرت مجلّة شترن (Stern) الألمانية سلسلة وثائق فضائحية تكشف محاولات الصهاينة للتعاون مع النازية. وتتعلّق إحدى هذه الوثائق بإسحق شامير (رئيس وزراء إسرائيل السابق ورئيس منظمة أرغون الإرهابية في حينه). إذ قام شامير بإجراء اتصالاتٍ سرّيةٍ مع النازيين عبر الملحق البحري في سفارة ألمانيا بتركيا، وقدم عرضاً مفاده أن أهداف "أرغون" تتّفق مع الأهداف النازية لجهة إجلاء اليهود عن أوروبا، تمهيداً لإقامة نظامٍ أوروبيٍ جديد. وهذا الإجلاء لا يمكنه أن يتمّ إلاّ عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين. وهكذا، فإن هذا الهدف المشترك يمكنه أن يؤسس لتعاونٍ مشتركٍ بين الصهيونية والنازية. ويمكن ضمان استمرار هذا التعاون بعد قيام الدولة اليهودية، عن طريق معاهدةٍ بين الطرفين تؤمّن المصالح الألمانية

في الشرق الأوسط. وفي حال الموافقة، فإن منظّمة أرغون مستعدّة للاشتراك في العمليات الحربية إلى جانب ألمانيا...

وإذا كنّا بصدد الحديث عن معاداة السامية، فهل يحقّ للصهيونية بعد كلّ هذا مجرّد الادّعاء بأنها تحمي اليهود من معاداة اليهود؟ مع أن الوثائق تتراكم حول وجود تعاون وثيق بين قادة الحركة الصهيونية وبين المخابرات النازية والفاشية الإيطالية! وهل يجوز إلصاق تهمة "لا سامية الأنا" أو "اليهودي كاره نفسه "فينكلشتاين" لمجرّد أنه يقرف من المتاجرة بعواطف والديه وعذاباتهما؟ وهل يصبح "نوفيك" كذلك لأنه يحذّر إسرائيل من استغلالها الهستيري، غير السوي، للهولوكوست؟ وهل يعتقد رودولف فربا بأن اغتيال كستنر في "إسرائيل" العام 1957 كان بسبب خيانته؟

لو شكّ "فربا" بهذا الأمر مجرّد شكّ، فإننا نحيله إلى الكاتب الألماني "غوليس مادير" ليُطلعه على قائمةٍ تقع في 16 صفحة تضمّ أسماء الزعماء الصهاينة المتعاونين مع الغستابو؛ منهم على سبيل المثال: حاييم وايزمان، موشي شاريت، دافيد بن غوريون وإسحق شامير..إلخ. فهل بقي من زعماء الصهاينة من يستطيع الادّعاء بأنه ليس يهودياً يكره نفسه؟

مهما يكن، فإن الباحث يرى تضافر عدّة عوامل معيقة أدّت إلى الفشل الإسرائيلي في مجال الحرب النفسية في إسرائيل . وأهم هذه العوائق يكمن في المجال الفلسفي.

يشكل مصطلح hasbara نظرة إلى الأعماق الدفينة للنفسية الإسرائيلية،

وهو يحجب في داخله معضلة لا يمكن حلّها : شعبٌ سيقيم لوحده ولا يهتمّ بالأغيار، وبين الرغبة الإسرائيلية التي لا تكلّ ولا تملّ في بذل الجهد للحصول على ودّ وتعاطف العالم .

وبدون الفصل في ما إذا كان لهذه الرؤية ما يدعمها أم لا، فهي لا تساعد في موضوع الدعاية وتطبيقها العسكري؛ أي الحرب النفسية.

إن الاتهام بالعداء للسامية يخلق كما يرى المؤلّف حالة سلبية وانعداماً للرغبة في جهود التوظيف. وبما أنه قد تمّ الاعتياد على هذا الأمر، فإنه لا يمكن الإتيان بأيّ فعلٍ ضدّ العداء للسامية مهما صغر . وبالإضافة إلى تلك المفاهيم، هناك حساسية مختلفة تجاه كلّ ما يرتبط بالدعاية بمفهومها السلبي، مثل دعاية إثارة الرعب، والتي لا يمكن شرحها فقط من خلال الكارثة اليهودية.

والحديث يدور هنا -حسب رأي المؤلّف- عن اشمئزاز حقيقي في أوساط الجمهور الإسرائيلي؛ وهو اشمئزازٌ موجودٌ أيضاً في الدول الغربية. وهذا هو السبب في عدم استخدام الدعاية إلاّ في أوقات الحرب، وحتى في هذه الحالة يكون بشكلٍ محدودٍ جداً .

فشلٌ آخر ينبع من طبيعة الصراع الذي يدور بين دولة مؤسسة وبين تنظيم سياسي عسكري. فالدعاية والحرب النفسية تتطلّبان حركية إعلامية والكثير من الإبداع؛ ومن السهل جداً على التنظيم السياسي أن يتبنّى استراتيجياتٍ دعائية، وأن يغيّر الاتجاه كلّما تطلّب الأمر، بينما تعمل الدولة المبنيّة على أسسٍ معيّنةٍ بشكلٍ أبطأ بكثير .

وهناك سببٌ آخر للفشل الإسرائيلي، ينبع من مبدأ أساسي في الحرب الثورية، وهو استغلال عنصر التعاطف الإنساني مع الضعيف. وقد استطاع الاستيطان اليهودي أن يُتقن الاستفادة من هذا المبدأ خلال النضال ضد الإمبراطورية البريطانية. ولكن، منذ أن حصلت إسرائيل على "استقلالها"، أهمِل هذا المبدأ بالتدريج!

الفصل الرابع : خطوات عملية

في هذا القسم، يتناول المؤلّف مبادئ العمل على تعويض ما اعتبره فشلاً في الحرب النفسية الإسرائيلية، عبر اقتراح سيرورةٍ متكاملةٍ لإعادة التنظيم (Reorganisation). لكن، قبل ذلك، لا بدّ من الإشارة إلى عددٍ من المبادئ الهامة التي يجب أن تنفّذ في إطار الهيئات التي شكّلت جزءاً من التنظيم العام، وهي:

1 - الإلمام بموضوع الحرب النفسية وجمع المعلومات.

2 - تحديد الرسائل الأساسية.

3 - الانتقال إلى البصري.

4 - كشف المعلومات وجمعها.

5 - التنسيق والربط.

هذه الخطوات هي خطواتٌ بعيدة الأثر. فمنذ اللحظة التي يبدأ فيها الاعتراف بأهمية موضوع المعلومات في الحرب، فإنه سيكون من الممكن توجيه الجهد لصياغة الرسائل وإعدادها بشكلٍ بصري .وبعد أن يتمّ عرض المبادئ

الأساسية، يمكن الانتقال لنماذج العمل، ويقسم المؤلف العمل بين المستوى الحكومي والمستوى العسكري باقتراح خيارين: الأول خطّة إستراتيجية، والثاني تطوير الوضع بشكلٍ بسيط.

الخطّة الإستراتيجية توصي بإقامة مجلس معلوماتٍ استراتيجيٍ يكون بمثابة هيئة عليا يتمحور عملها حول معالجة الموضوع والتنسيق بين كلّ الجهات المشتغلة، وتقديم الخدمات للحكومة في مواضيع المعلومات الإستراتيجية؛ والإمكانية الثانية هي إقامة لجنة متابعةٍ تتمتّع بصلاحياتٍ وبمواردٍ مناسبة، تمكّنها من تقديم خدماتٍ مناسبة لرئيس الحكومة وللجنة رؤساء الأجهزة .

وفيما يلي الخطوات العملية حسب الخيار المثالي كما يراه "شليفر":

- لجنة الرسائل، ومهمّتها صياغة الرسائل المركزية التي تريد إسرائيل نقلها لأوساط الجماهير المختلفة

- جمع المعلومات النفسية، عبر جمع المعلومات الثقافية والإنتروبولوجية والتاريخية والاجتماعية النفسية .

- الاستخبارات العسكرية (أمان) والأمن الداخلي (الشاباك) والموساد .

- تأثيرات دعائية؛ ومن مهام مجلس المعلومات الاستراتيجي تنسيق التشاور على المستويات العليا بين مقرّري السياسة .

-تنسيق العلاقات مع يهود الشتات .

إن تعريف الجيش الإسرائيلي القديم للحرب النفسية يقول أنها مجالٌ ثانويٌ لحرب الاستخبارات. أما التعريف الحديث الذي يعطيه الجيش الإسرائيلي

للحرب النفسية، فهو أنها الحرب التي تُستخدم فيها الدعاية من أجل التأثير على أشخاصٍ بين أوساط العدوّ.

إن هذا التعريف مفيد، لكونه ينظر إلى عملية التأثير بتفاصيل مختلفة، مثل تقويض الثقة بالنصر. أما الإخفاق الأساسي لهذا التعريف، فيتمثل في استخدامه مصطلحاً ضبابياً ومشحوناً مثل دعاية taamola، من أجل إيضاح فكرةٍ معقّدةٍ مثل الحرب النفسية.

لذلك، يجب وضع نظرية حربٍ مفصّلة، مثلما هو الأمر بالنسبة لحرب سلاح المدرّعات أو سلاح الجوّ، من أجل دمج الحرب النفسية مع كلّ الأذرع الحربية.

الخلاصة

استعرض الباحث الإسرائيلي "رون شليفر" في هذه الدراسة المشاكل البنيوية للحرب النفسية في الكيان، والطرق الممكنة لحلّها. واتضح له أن أساس المشكلة هو مفاهيمي، ينبع من النفور اليهودي والديمقراطي من موضوع الدعاية .

ويقترح المؤلّف إطارين تنظيميّين، ويشرح القضايا التي تجب معالجتها، مثل البحث الثقافي، والتعاون الاستخباراتي، وتأهيل العنصر البشري المناسب .

لكن، يجب بالدرجة الأولى المرور بانقلابٍ مفاهيمي. فقد تغير شكّل الحرب النفسية منذ حرب الخليج .بل إن انقلاباً شاملاً حدث لهذه المفاهيم بعد الحرب العراقية. لذلك نجد أن هذه الدراسة وشبيهاتها تهمل الأساس

المفاهيمي لوجود الكيان الإسرائيلي، حيث يتّفق المستقبليون على تصنيف "إسرائيل" في خانة الكيان المزروع في محيطٍ معادٍ. كما يشير الاستقراء التاريخي إلى ثلاثة احتمالاتٍ مستقبلية لهذا الكيان هي:

أ – أن تحتوي البيئة المحيطة هذا الكيان الجديد وتصهره كي يصبح جزءاً منها، وذلك على غرار ما جرى للآريين الذين استعمروا الهند.

ب – أن يندمج الغزاة مع الشعوب المحلّية، على غرار ماجرى في أميركا اللاتينية مثلاً.

ج – أن يملك الغزاة قدرة الانفتاح وأن يتمكّنوا من إغراء الشعوب المحلّية لإقامة مشروع سوسيو–إنثروبولوجي مشترك.

ويبقى احتمالٌ رابع : "التذويب"، وهو حلٌّ يستبعده المستقبليون لسببٍ ديموغرافي. فأعداد اليهود غير كافيةٍ لتذويب الشعوب الأصلية، على غرار ما فعله الآريون مع الهنود الحمر.

بعد هذا الاتفاق، يبدأ خلاف المستقبليين في تحليلاتهم لمستقبل "إسرائيل". إذ يربط بعضهم زوالها بأزمةٍ أميركيةٍ قادمة، في حين يذهب بعضهم الآخر إلى احتساب متوسط أعمار الاحتلالات التي شهدتها فلسطين التاريخية مع نزع صفة المستعمر عن العثمانيين الذين حكموا المنطقة من داخل ثقافتها. كما أن تيّاراً آخر يؤكّد على انبعاث الفاشية بعد جيلين على اختفائها، وهذا يعني عودتها حوالي عام 2020 ويرى هذا التيار أن اليهود سيكونون أوائل المتضررين من هذا الانبعاث.

الحرب النفسية في (إسرائيل)

رؤية جديدة

رون شليفر*

المقدّمة

تُعتبر التنظيمات الفلسطينية وتنظيم حزب الله تنظيماتٍ قليلة العدد والعدّة بالمقارنة مع (إسرائيل). وقد توصلت إلى إنجازاتٍ عسكريةٍ وسياسيةٍ ملموسة؛ فقد أدّت عمليات حزب الله إلى إخراج (إسرائيل)من جنوب لبنان، وأدت الانتفاضة الأولى إلى إقامة دولة فلسطين الفعلية؛ ولا زالت الانتفاضة الثانية مستمرّة حيث من السابق لأوانه تقدير نتائجها.

لقد أدار الفلسطينيون وحزب الله الحرب ضدّ (إسرائيل) بوتيرةٍ هادئة، وذلك من خلال استخدام وسائل نفسيةٍ كثيرة. وأدّى نجاحهم المبهر إلى تدريس أساليبهم في الأكاديميات العسكرية في جميع أنحاء العالم. ومن الواضح أنه من غير المناسب تحليل المنجزات بالأدوات الدارجة للحرب التقليدية طالما أنها لم تحصل مثل هذه الحرب، وهذا الفصل ينطلق من زاوية

* محاضِر في جامعة «بار- إيلان في قسم العلوم السياسية، و باحث في مركز بيغن- السادات في مجال الحرب النفسية، حرب المعلومات و علاقاتها بالجيش و بالإعلام.

الاعتقاد أن هذه المنجزات نبعت من تطبيق شريعة الحرب. والتي تربط بين الحرب على وتيرةٍ هادئةٍ وسياسةٍ مخطّطةٍ ومنسّقةٍ من خلال بثّ المعلومات. وباختصار، هي الحرب النفسية.

هذه الدراسة توضح أفكاراً أساسية ومحددة حول موضوع الحرب النفسية، وتعطي عدداً من التطبيقات وعدداً من الوصايا للمستقبل.

الفصل الأوّل: ما هي الحرب النفسية؟

تحديد ومضمون

إن التعابير اللغوية والأدبية تتخبّط حول التعريف الدقيق للحرب النفسية[1]، وبصورةٍ عامّة، فالمقصود هنا هو استخدام وسائل غير عنيفة (خلال الحرب) لتقريب أهدافها.

وحسب ما سنرى لاحقاً، من الممكن توسيع أو تقليص الفكرة، و تغيير هذا المصطلح حسب الضرورة. والمصدر هو الحرب النفسية التي تشكّل قاعدة (حديدية) لا يمكن الخروج عنها. وهذه القاعدة بحاجةٍ للتنسيق الوطيد بين المستويين العسكري والسياسي.

الحرب النفسية لا تحسم الحروب، ولكنّها تكون أداة إضافية في جعبة القيادة العسكرية، مثل: سلاح الجوّ، المدفعية أو المدرّعات. مثال ذلك حرب الخليج التي لم تُحسم عن طريق وحدات الحرب النفسية، ولكن عن طريق الهجوم الأرضيّ؛ حيث أدّى استسلام عشرات الآلاف من الجنود العراقيين في أعقاب رسائل الحرب النفسية إلى حقن دماء الكثيرين بالنسبة (لقوّات التحالف)، إضافة إلى توفير وسائل قتاليةٍ كثيرة. وقد استسلم هؤلاء الجنود بسبب الرسائل التي بثّت لهم، والتي خفّفت عنهم وطأة الأسر وعدّدت

(1) Daugherty& m.janowitz,a psychological warfare casebook(Baltimore,md:johns hopkins university press ,1958);j. ellul,propoganda: the formation of men attitudes (New York : vintage books, 1973),a.george ,propaganda analysis : a study of inferences made from nazi propaganda in the second world war (Evanston ,il : ron Peterson &co ,1959) , h.d .lasswell,propoganda and the promotional activities: an annotated bibliography (Minneapolis of minnestoa press,1935

(وهذه بعض من عشرات الكتب المتعلّقة بالموضوع.

لهم خيارات الاستسلام، ممّا دفعهم إلى التغلّب على شعورهم بحبّ الوطن وخوفهم على مصائر عائلاتهم.

وإن ثمن هذا الإنجاز بكلّ بساطةٍ بياناتٌ من الورق ونداءاتٌ عن طريق مكبّرات الصوت، وقنابل تمثيلية(خداعية)، أدّت إلى تصاعد موجة الهروب من الجيش والاستسلام بشكلٍ مضطّردٍ كلّما تزايدت الانتصارات في ساحة المعركة.

التاريخ والمصطلح

موضوع الحرب النفسية معقّدٌ بشكلٍ كبيرٍ ومليءٌ بالمشاعر. وفي (إسرائيل)، فإن عبء الشعور بشفافية هذه المشاكل خلال هذه الحرب له تأثيرات كبيرة بشكلٍ خاصٍ ومختلف.

المسار الأخلاقي

للوعي علاقة بالحرب النفسية، مثل الدعاية وغسل الدماغ وسياسة الإغراء (الغوغائية) وما شابه ذلك، وهذه الأفكار تتعارض مع القِيم العالمية التي أعلِنت في أعقاب الثورة الفرنسية، وأساسها حقوق الفرد الديمقراطية وحرّية التفكير وإقناع الجماهير لأهدافٍ سياسية، مثل وقت الانتخابات الذي يثير الهواجس و التغرير.

المسار المعنوي أو الدلالي

جدّت كلمة (بروباغندا) ، أيّ الدعاية، في القرن السابع عشر؛ وهي

اختصارٌ لاسم منظمةٍ أنشئت من أجل مساعدة الكنيسة الكاثوليكية لضمّ المؤمنين لصالحها. وعملت هذه المنظمة على مستوى العالم. وفي أمريكا الجنوبية، كانت هذه المنظمة سبباً في تنصير ملايين الهنود الحمر، وحتّى هذا اليوم، فإن تفسير الكلمة هو "الدعاية".

وفي إطار التحضيرات الحربية في بداية الحرب العالمية الأولى، أنشأ الألمان جهازاً إعلامياً لجموع الجماهير المختلفة.وعندما انخرط البريطانيون في الحرب، أنشؤوا جهازاً معقّداً وذو فاعلية كافية بعد صراعاتٍ بيروقراطيةٍ داخلية. حينها، كان من الممكن رؤية الفرق بين النظام الديمقراطي والنظام الدكتاتوري، وكانت أكثر الصحف شهرة تقف على رأس وزارتين مهمّتين؛ فصحيفة (لوراد بيير بروك) كانت ناطقة باسم وزارة الحرب الإعلامية، وصحيفة (هولارد نورث كليف)ناطقة باسم دائرة الدعاية المعادية.

بعد عقدين من الزمن، وعلى إثر نشاطات الأجهزة النازية لـ (جوزيف غبلس) وقبول هذا المصطلح (بروباغندا)كان لذلك مغزىً سلبياً واضحاً ما زال حتّى اليوم. ولقد فهم البريطانيون أهمية استخدام المعلومات بهدف تحقيق النصر في الحرب، وقاموا بإنشاء جهازٍ لهذا الهدف؛ لكنّ هذا الاسم سبّب مشكلة بسبب استخدام الألمان مصطلح (البروبوجندا)، ولذلك اختار البريطانيون مصطلحاً آخر هو (الحرب السياسية).وعندما دخل الأمريكيون للحرب أنشؤوا قيادة مشتركة مع البريطانيين؛ وسمّي هذا المصطلح الدعائي الجديد باسم (الحرب النفسية).

لقد وضعت الحرب الباردة أمام الولايات المتحدة الأميركية مشكلة قديمة

جديدة. فمن ناحية، (البروباغندا) هي أداة لأنظمة دكتاتورية؛ ومن ناحيةٍ أخرى، لا يمكن تجاهل فاعلية هذه الأداة. وكان الحلّ الدلالي للمشكلة يتمثل بتغيير المصطلح ليصبح (العلاقات العامة)، والحل المنظم بجعل هذه الدعاية في الخفاء. وعلى ذلك، تمّ الاستناد إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ(CIA) والهيئة الجديدة باسم وكالة الإعلام الأمريكية التي أنشئت من أجل نشر المعلومات .

إن انتشار مصطلح (الحرب النفسية) قد تضاءل، وتمّ حصر استعماله للنشاطات العسكرية التقليدية. ففي حرب فيتنام، استعمِل هذا المصطلح ضمن نشاطات المسار النفسي، وسمِّيت (بالعمليات النفسية)، أو باختصار (psyop)، وربّما بسبب الاعتقاد أن لكلمة (عمليات) دلالة لسلسلة عملياتٍ دقيقةٍ وقصيرة. وهذا المصطلح لا يزال مستخدماً حتّى اليوم، على الرغم من بذل جهودٍ للبحث عن مصطلحٍ جديد.

دولة (إسرائيل)

في السنوات الأولى لقيام دولة (إسرائيل)، إضطرّ قادتها للتعامل مع مشكلة إيجاد مصطلحٍ للدعاية وبثّ المعلومات والأفكار، وكان هناك تردّد في استخدام مصطلح الدعاية بسبب استخدام هذا المصطلح من قِبل النازيين. ورغم ذلك، فمن الواضح أن لهذه المعلومات أهمية واضحة في الحرب؛ والحلّ الوسط لهذا الأمر تمثّل في نقل موضوع الحرب النفسية في المجال العسكري إلى وحدةٍ صغيرةٍ من شُعب الاستخبارات والقطاع المدني من الاستخبارات العامة. وضمن الحياة المشتركة، كانت مهمّة تشكيل الرؤيا العالمية من قِبل

رجال الدولة؛ وهم أوّل من فهم أهمية الدعاية والمهمة الموكلة لمن يعمل بها. ولذلك، كانت هناك نزاعاتٌ مستمرّةٌ في موضوع السيطرة على بثّ ونشر المعلومات.

مع بداية حرب الاستقلال، بدأ الصراع على الهيكلية والصلاحيات. وفي هذا المجال، تمّ أيضاً الاتفاق على حلٍ وسطٍ بأن يكون مكتب وزارة الخارجية هو المسؤول عن الدعاية الخارجية، والوكالة اليهودية مسؤولة عن الدعاية لجموع اليهود في جميع أنحاء العالم، وقسم جديد هو (مركز الاستعلامات) المسؤول عن الدعاية لسكّان الدولة. وفي هذا القسم، كانت هناك نزاعاتٌ كبيرة[2].

إن الاسم الجديد لهذا القسم يعبّر عن طريق مأساة استخدام المصطلح. ومنذ حرب الاستقلال، ظلّ استخدام رسائل من الجيش (الإسرائيلي) ضمن مصطلح الدعاية، مثل استخدامات "دعاية التجنيد" إلخ.. ومع بداية عام 1949، بدأ استخدام مصطلح "استعلامات"؛ وهذه الكلمة في لفظها الجديد لا مثيل لها في اللغات الأخرى، ومغزاها هو الدعاية والتوضيح. لكن، ولأسبابٍ استعاريةٍ مجازية، كان من غير الممكن استخدام كلمة "الدعاية" من أجل توضيح التصوّر الذي يضع (إسرائيل) في حالةٍ خاصّة، وذلك انطلاقاً من الاعتقاد بأنه من حقّ (إسرائيل) الوجود بأمانٍ وسط محيطها .

فرضت (إسرائيل) المصطلح على العالم اليهودي وعلى من معها بعلاقاتٍ

(2) على الرغم من أن مركز الاستعلامات يقع في بناية رئيس الحكومة، لكنّه تابعٌ رسمياً لوزارة التربية والتعليم، بعد أن وضِعت نصوصه في زمن (زلمان أورن).

دبلوماسية. ووزارة الخارجية عملت في الإعلام الذي سمّي باسم "قسم الاستعلامات" ولمدّة عقودٍ عدّة وحتّى الانتفاضة. وفي اتحاد نقابات العمال " الهستدروت" الصهيونية كان هناك قسم بهذا الاسم حتّى تمّ إنهاؤه في نطاق عمليات تنظيمه من جديد في سنة 1997.

ورغم ذلك، فإن كلمة "الإعلام" هي جزءٌ من المعجم الصهيوني العالمي، إضافة إلى كلماتٍ أخرى، مثل "مبعوث" و "هجرة العودة لإسرائيل". و ممّا يزيد صعوبة استخدام المصطلح هو استخدام الاختصارات العسكرية، ممّا يؤدّي إلى إساءة فهم مهمّة الدعاية في الحرب والاختصارات (الإسرائيلية) للكلمات في الحرب النفسية؛ مثل استخدام (ح-ن- أسود)، أي حرب نفسية سوداء؛ و (ح-ن -أبيض)، أي حرب نفسية بيضاء.. وهكذا، فإن هذا المصطلح يساعد على بلبلة وتشويش الأفكار، علاوة على أن هذه التقنية متخصّصة للتوقيع على الرسائل الموجَّهة، مثل (ح_ن_أبيض)، أي بيان موزّع في ساحة المعركة بختم قائد ميداني محلّي يدعو فيه إلى الاستسلام. وأيضاً فإن (ح-ن- أسود) تعني بيان مختوم ختماً مزوّراً.

وعلى النقيض، يوجد في الجانب الآخر في المفردات العسكرية العربية عدّة مصطلحاتٍ لها علاقة بالموضوع المعلوماتي(3): "وزارة الإعلام" وتفسيرها " الوزارة الحكومية للإعلام "، وفي دولٍ عربيةٍ كثيرةٍ تكون جزءً من الأجهزة الحكومية؛ وفي الستّينيات، تعلّم الفلسطينيون كيفية بداية ونشأة حروب الاستقلال لدولٍ مختلفةٍ مثل الجزائر، وكوبا وفيتنام. وقد استفادوا

(3) صلاح نصّار -الحرب النفسية، مكتبة ترومن، المكان وسنة النشر غير مذكورين.

من دراسة هذه الحروب والصراعات، وأطلقوا مصطلح " حرب العصابات " و "حرب الأعصاب" على الأبعاد النفسية للحرب. ومن هنا نستنتج أنه وفي المراحل الأولى من الصراع، اختار الفلسطينيون إمكانياتٍ مختلفة سرّية للأبعاد النفسية للحرب.

الخلاصة: من الممكن القول إن "مصطلح الدعاية" يقع الآن في مراحل عدم الثبات في المفهوم، وإن هدفه بثّ المعلومات من أجل الحصول على أهدافٍ سياسية؛ أي المصطلح الدلالي السلبي. ولذلك، يتمّ استخدامه بصورةٍ قليلة. أما في (إسرائيل)، فيستخدمون مصطلح الاستعلام ضمن مصطلح الحرب النفسية، ويستخدمونه لتحديد النشاطات التي لها علاقة بتقريب المصالح ضمن المجالات العسكرية في زمن الحرب. لكنّ التصوّر الأمريكي -حسب ما سيأتي- توسّع بشكلٍ كبيرٍ بعد استخدام مصطلح الحرب النفسية والاستعلامات السياسية. وسيعرض هذا الفصل لاستخدام المعلومات من وجهات النظر العسكرية والسياسية.

من أجل المقارنة في تحليل المنهج الأمريكي لموضوع بثّ المعلومات في الحرب، تمّ في العقدين الأخيرين استثمار جهودٍ منظّمةٍ لبحثٍ علميٍ واسعٍ نما وكبر ضمن شريعة الحرب. ومن الممكن تطويع هذه المعلومات كي توافق (إسرائيل). وتكمن أهمية التصوّر الأمريكي بتوسيع الحرب النفسية الشاملة لكلّ معلومةٍ من جميع المصادر التي من الممكن أن توصل إلى المصالح الأمريكية فيما بعد مدى هذا التصوّر، و طموحه في السعي لإنشاء جهازٍ متكاملٍ لكلّ أجهزة الدولة التي لها علاقة بالمعلومات العسكرية والمدنية على حدٍ سواء؛

وذلك من أجل أن يكون العمل متلائماً ومنطلقاً من أهدافٍ محدّدةٍ سابقاً، وبشكلٍ يعود بالنفع على مصالح الدولة.

ومثال ذلك أن هناك أجهزة تعمل على نشر الثقافة الأمريكية في جميع أنحاء العالم، وحسب المستويات المقصودة، وذلك من قِبل عمالقة الصحافة في البيت الأبيض و الحكومة و جهاز " CIA" ووحدات الحرب النفسية وضبّاط العلاقات العامة في وحدات الجيش. و بذلك، تمّ فهم موضوع الإعلام و نشر المعلومات على أنه وحدة كاملة أو مجموعة كاملة.

وتعتبر الوثيقة الأمريكية المركزية، غير الواضحة بشكلٍ جزئيّ، المرشد العسكري الأمريكي لموضوع أهمية المعلومات (field manal- 100-6)[4]، الذي يتطرّق إلى المعلومة على أنها ذات أهمية عليا في الحرب المستقبلية ويتعرّض إلى أساسيات الأفكار لاستخدام المعلومة الاستراتيجية الأمريكية. ويتفرّع استخدام المعلومة إلى عددٍ من المجالات هي: مجال الحرب النفسية الذي يتخصّص بالسيطرة على المعلومة الموجهة لجماهير مختلفة وخاصّة إلى عدوٍ قائمٍ وموجود أو احتمالية وجود هذا العدو، و مجال علاقات الجيش مع الإعلام[5] الذي يتعامل أساساً مع الجماهير؛ وهي الهدف المدني والعام للولايات المتحدة. ومجال ثالث هو حرب المعلومات، والذي يعمل على إرسال المعلومات إنطلاقاً من وجهة نظر هذه القنوات، مثل الكمبيوتر

(4) fm 100-6 information operations, headquarters department of the army, Washington dc, 24 august 1996 www.fas.org/irp/doddir/army/fm100-6.

(5) fm 46-1 headquarters department of the army, Washington dc, 30 august 1997 www.mega.un:8080/somans.html

وشبكات المعلومات بطرقٍ مختلفةٍ لاستغلال هذه الحرب مع العدوّ، مثل إرسال الفيروس لأجهزة العدوّ والتشويش الإلكتروني والمغناطيسي وما شابه ذلك.

وانسجاماً مع (6-fm 100)، يوجد كتاب توجيه وإرشاد لموضوع قانون الحرب لموضوع الحرب النفسية (fm 5-1-33)[6]. وهذه هي قوانين الحرب منذ القِدم. و قد وضِعت النصوص الأولى في بداية الحرب الباردة؛ وتحتوي هذه الوثائق على تجديدٍ للأفكار بعيدة المدى في عقيدة الحرب النفسية الموجودة منذ الحرب العالمية الأولى .

ليس هناك الكثير من التجديد[7]. لكنّ الجديد هو عموميات مواضيع مصنّفة، مثل علاقات الجيش والإعلام وارتباطه بالمجال التخريبي السرّي في الحرب النفسية. وأمر آخر وضِع في كتاب الإرشاد المذكور سابقاً، وهو فتح وكشف عن المعلومات للحاجة لوجود مدخلٍ معلوماتيٍ حرّ.

والبرهان على ذلك هو أن جميع هذه الكرّاسات للإرشادات موجودة على الإنترنت؛ وإن أيّ شخصٍ يستطيع الحصول عليها. ويُحتمل أنه مازال هناك مكانٌ للمناورة بين تدفّق المعلومات بصورةٍ حرّة وبين فاعلية هذه المعلومات بهدف تقريب المصالح العسكرية والسياسية، وإن السرّية المخفيّة تكوّن قيوداً حول الموضوع.

(6) fm 33-1-5 psychological operation techniques and procedures. www.mega.nu:8080 /somans .html

(7) نشر البريطانيون خلال الحرب العالمية الأولى عدّة تقارير مثيرة عن الدعاية.

إستخدام المعلومات الاستراتيجية - درجات متفاوتة

يوزّع دليل الحرب النفسية (5-1-fm33) مهام الولايات المتحدة لمستوياتٍ متعدّدة. فالمستوى الاستراتيجي يقع على المقياس الشامل، من ضمن أجهزة الدولة وبإشرافٍ من الرئيس ومندوبيه.

والمستوى الذي يليه هو المستوى العملي والفعّال، وهدفه تجهيز السكّان في حالة العمليات الحربية. و الهدف هنا تعريف مناسب لقوّةٍ عظمى، والتي تضع على رأس أولوياتها مصالحها بصورةٍ شاملة .

إن إرسال الجيش إلى مناطق متوتّرة يحتّم علينا الاستفادة من الخبرات السابقة. لذلك، علينا تجهيز السكّان في المنطقة لمجيء الجيش، كي لا يفسر وجوده بأمورٍ قد تضرّ باحتمالية نجاح وجود هذا الجيش. وفي حالةٍ مثل هذه، فإن بثّ المعلومات في المنطقة في الأساس من مسؤولية الجيش؛ وعلى مستوىً عالٍ، يتعاون مع المستوى السياسي.

وهناك المستوى التكتيكي، ويتمّ التعامل من خلاله مع كلّ ما هو مقبول أو معروف في الحرب النفسية في ساحة المعركة، وبشكلٍ منظّمٍ حتّى على مستوى الوحدات العسكرية الصغيرة.

وهدف المستوى الأخير هو مرحلة التأسيس (التعزيز والتقوية)، عبر تحضير الوضع العام للجماهير في تلك المنطقة المحتلة للواقع الجديد، وذلك من أجل منع واقع سلبي، مثلما حصل لـ (إسرائيل) في لبنان عندما لم تفلح في تطوير علاقاتها مع المدنيين والأحزاب المختلفة عندما كانت على الأرض اللبنانية.

وفي الجيش الأمريكي، اُنشئ جهاز متطوّر من أجل فحص وتحليل وتشكيل المعلومات واستخلاص الرسائل ونشرها، وذلك من أجل الأهداف المنشودة. هذه الوحدة متحرّكة ومتنقّلة وعلى استعدادٍ للذهاب إلى أيّ مكانٍ في العالم وفي أسرع وقت.ويقع مركزها في قاعدة قيادة القوّات الخاصّة في (فورت براج) fort bragg في شمال كارولاينا؛ وتقوم وحدة الحرب النفسية العسكرية بتشغيل مطابع متحرّكة واستوديوهات ومحطّات بثٍ عن طريق الطائرات للراديو والتلفزيون. وهنا يكون الجنود مدرّبين على هذه المهام من تصوير و إعلام وبثّ ورسم، وطباعة.. إلخ. ومهمّة هذه الوحدة تزويد خدمات ومستلزمات حسب الطلب؛ وقد عملت هذه الوحدة كثيراً في (بنما) و (هاييتي) في حرب الخليج أيضاً.

وفي حرب الخليج، إصطدمت الوحدة بمعارضةٍ من جانب عدد من القوّاد العسكريين بسبب تحريك الطائرات، وطلب القادة الفائدة من نشاطات الحرب النفسية وحقائق واضحة، دون وجود أية عوائق لعدم إمكانية الفصل بين تركيبة الحرب النفسية خلال الحرب. ومثال ذلك السبب أوالعامل الذي يقف وراء هبوط معنويات جيش العدوّ في ساحة المعركة؛ فهل هي الرسائل، أو القنابل، أو القصف. هذا الوضع تغيّر بشكلٍ كبيرٍ في حرب الخليج، لأن (88000) جندي عراقي قد استسلموا لقوّات التحالف، وجزء من هؤلاء الجنود رفعوا بياناتٍ كان قد وزعها التحالف، وهي (طريق آمن)؛ وفي هذه البيانات، ضمانات بالحماية لكلّ جنديٍ عراقي، على الرغم من أن احتفاظ الجندي بهذه البيانات يعرّضه للعقاب الشديد.

منذ عام 1991، تطلّع القادة العسكريون بصورةٍ أوسع إلى فكرة إنشاء وحدات الحرب النفسية. وهناك جيوش معروفة ومتعدّدة، لديها وحدات عسكرية كبيرة مخصّصة للحرب النفسية، مثل الجيش البريطاني، والفرنسي، والألماني، والإيطالي.

لا خلاف أن موضوع المعلومات كأداةٍ استراتيجيةٍ قد دخل عليه تحسنٌ ملموسٌ في "إسرائيل". وفي الألفيّة الثالثة، فإنه من الواجب على الأجهزة الأمنية والسياسية أن تدرس وتمحّص من جديد الجهود الفكرية الجماعية والمنظّمة التي بذِلت في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا، ودراسة تطبيق عناصر جديدة، من بينها العلاقة مع (إسرائيل)، ومن أجل تهيئة وتجهيز نفسها للتحدّيات الأمنية التي يضعها الفلسطينيون ودول المواجهة أو دول الطوق.

العناصر الأساسية للحرب النفسية

في الحرب النفسية، يوجد ثلاثة عناصر أساسية هي: الجمهور المستهدف، الرسائل، وقنوات البث.

ومن الممكن تقسيم الجمهور المستهدف إلى ثلاثة أقسام:البيت (المواطنون)، العدوّ، الحياد؛ والجمهور الأكثر أهمية هم المواطنون. فعندما تطلب الدولة تجنيد عناصر سكّانها للحرب، فهي مضطرّة أن تقوم بعملية إقناع لمواطنيها بالموافقة على التضحية خاصّة في الحرب التقليدية. وفي أوقات الحرب الباردة، فإن هناك تجنيداً جزئياً. لكنّ الدولة مضطرّة أن تتعامل وتتأقلم مع صعوباتٍ

أخرى، مثل التذمر والتشكّك على توزيعٍ غير عادلٍ لعبء المسؤولية. ويجب إقناع المواطنين أنه عندما يكون الحديث عن خطرٍ يهدّد الوجود، فالأمر يتطلّب الكثير من التضحيات؛ ويجب أن يتمّ إقناع الجنود الذين يتم تجنيدهم بضرورة تجسيد أهداف الحرب، وأن احتمالية النصر للدولة التي لا تنجح في اجتياز هذا الأمر ضعيفة. وتشكّل حرب لبنان (1982-2000) مثالاً للفشل في الخطاب الموجّه للشعب.

الجمهور الثاني هو العدوّ. وهذه الجماعة تنقسم إلى قسمين هما: الجيش والمدنيون. ويكمن الهدف هنا في إقناع العدوّ بأن يُنزع منه الأمل في النصر، وأن هذا هدفٌ ضائع. وكلّما انتهت الحرب مبكراً أكثر، كان ذلك من الأفضل. ومن أجل هذا، يتمّ استعراض معطيات القوّة والخبرة التاريخية. وهكذا، فإن الجانب الأضعف يعرض موارده البشرية واستعداد رجاله للتضحية كوسيلة مفضّلة.

والجمهور الثالث هو الجمهور الحيادي، والذي ليس له علاقة مباشرة في الصراع. والهدف هنا كسب رأيه؛ أو على الأقلّ منعه من مساندة العدوّ.

العنصر التالي هو الرسائل. وعلى ضوء تحليل الرسائل في حروب القرن الماضي، من الممكن أن نستخلص عدداً من الرسائل القيّمة الموجّهة للجماهير وسكّان المنطقة وللعدوّ، والتي تركّز على قلّة الأمل بالنصر وغرس الخوف في ذاته وبثّ الشعور بالذنب.

ويرمي استهداف مقاتلي العدوّ إلى التسبّب لهم في الارتباك والتردّد

والرضوخ والاستسلام أو الهرب من المهمّات. وعلينا مواجهة جنود العدوّ من خلال احترام هذا العدوّ وتقدير شجاعة قلبه وتضحياته. ويجب أن نراعي رغم ذلك ضعف الأمل على نفسيته؛ ويجب أن تهتمّ هذه الرسائل بالإجابة على تخوّف الجنود على مصير عائلاتهم بعد سقوطهم في الأسر[8]. وهذا النوع من الرسائل في الحرب مشهور، وهو " أنه لا يوجد أيّ شيءٍ ضدّكم، ولكن ضدّ القيادة السيّئة المسؤولة عنكم. ساعدونا على إسقاطهم، وإن هذه الحرب اللعينة ستنتهي فوراً ". وهذه الرسائل لها أثر في حالة انحراف الناس وتكتّلهم حول هذه القيادة الفاسدة في أوقات الحرب.

ولا زالت الرسائل الأكثر شيوعاً بيان "المعبر الآمن" الذي وجِد في الحرب العالمية الأولى، ويركّز على إقناع المقاتل بالاستسلام والأسر بصورة خاصّة. وينتج هنا هاجس عدم الثقة عن مثل هذه الرسالة التي تتطلب إسناداً وتوقيعاً بالوثائق الرسمية الموقّعة من قِبل قائدٍ كبيرٍ على هذه البيانات. وهذه البيانات تحرّض على الاستسلام، ومكتوبة بلغة أصحاب هذه المناطق، وذلك من أجل توسيع دائرة الإيمان بها، وهي معدّة ظاهرياً للجنود الذين لديهم القابلية للسقوط في الأسر. وفي حالة أن هذه البيانات لا تؤدّي بصورةٍ مباشرةٍ للسقوط في الأسر، فإنها تؤثّر على معنويات جنود الجيش حيث انتشارهم.

تركّز الرسالة المركزية في الحرب النفسية على بشاعة الحرب، علاوة على

(8) يرى الكاتب أن السوريين أخطؤوا على المدى البعيد في حرب 73 فيما يتعلّق بالمعاملة البشعة التي تعرّض لها أسرى الجيش الإسرائيلي، وإن هذه الحالة ستعزّز من حوافز الجندي (الإسرائيلي) بأن يقاتل حتّى آخر قطرةٍ من دمه على الجبهة السورية، وسيكون من الصعب على السوريين توجيه رسائل بالاستسلام للجنود الإسرائيليين.

أن هذه الحرب تعمل على حصد الأرواح البشرية. وعلى مرّ التاريخ الإنساني، تمّ تطوير أساليب كثيرة تخصّصت في التغلّب على الخوف الطبيعي في الحرب، ولتخلق أناساً كانوا رسلاً للسلام ومسخّرين أقلامهم من أجله، قد حوّلتهم إلى قتلة، يعملون من أجل زعيم أو فكرة. وإن إحدى الطرق للحصول على هذا الهدف هي جعل الجنديّ يعمل على الفطرة العسكرية.

يكمن هدف الحرب النفسية في خلخلة الوضع النفسي داخل صفوف العدوّ، وحمله على التفكير بالعموميات وبأفكار واقعية بالنسبة إلى كلّ فرد. وفي بعض الأحيان، جعله يشعر بالذنب، وهذا الأسلوب أثبت نجاعته أكثر من غيره؛ وهكذا كان في فيتنام.

تشجيع التفكير الأخلاقي والشعور بالذنب أمورٌ تؤثّر على قدرة الجندي في أن يجرح أو أن يقتل. وعلى هذه الرسائل الموجّهة أن تخترق حاجز آلية التفكير التي يمرّ بها العدوّ؛ علاوة على أنه في الصدامات التقليدية، يكون لهذه الرسائل أثر أكبر، فيتأثّر بها المدنيون. وأثر الدعاية في معاناة المدنيين موجودٌ منذ فجر التاريخ، وهو جزءٌ مهمٌ من هذه الحرب.

وتدور الحرب التقليدية في عصر التطوّر التكنولوجي على الأغلب من مسافاتٍ بعيدة، حيث لا يكون هناك أيّ مواجهاتٍ جسديةٍ مع العدوّ. وفي الحرب الباردة، تكون الصدامات عبارة عن أحداثٍ عرضيةٍ قصيرةٍ وزمنٍ طويلٍ وباتصالٍ مباشر. وفي مثل هذه الظروف، من الممكن تنشيط مبدأ الإنسانية والشفقة جرّاء معاناة الناس، ومن الأفضل مهاجمة مكانٍ آخر وفي ساعةٍ أخرى، وهكذا.

وفي النهاية، فإن قنوات البثّ هي الطرق المستخدمة في نقل الرسائل وطرق الاتصال الجماهيري، والتجمّع السهل المقصود هو السكّان الأصليون؛ وهؤلاء يتأثّرون بواسطة الإعلام، إضافة إلى المحاضرات والموسيقى والإعلانات..

وهناك عددٌ قليلٌ من الجمهور من الصعب الوصول إليه؛ وهؤلاء هم المحايدون ومن أجل الوصول إليهم، يجب استخدام تقنية العلاقات العامّة وإجراء استطلاعاتٍ لمواضيع خارجية عبر الإعلام المحلّي وشراء مناطق الإعلام وقنوات وزارة الخارجية (الدبلوماسية والتجارة) واتصالات ثقافية. وتُعتبر الجماعة الأكثر تصلّباً هي العدوّ، وليس فقط تحديد كلّ رسالةٍ تصل على أنها معادية ومضرّة بأهداف الحرب؛ وهذا ما يدفع العدوّ إلى وقف قنوات البثّ المعادي الموجّه إلى جيشه ومواطنيه.

الحلّ الذي وجِد في الحرب العالمية الأولى للوصول إلى جمهور المعادي، ومازال استخدامه قائماً كما ذكِر سابقاً، هو توزيع البيانات على جيوش العدوّ بأشكالٍ متعدّدة (من الطائرات أو عن طريق قذائف مدفعية). وهنا لا يستطيع العدوّ منع هذا البثّ، بالإضافة إلى بذل جهودٍ للتأثير على الإعلام العالمي، المنتشر بحيادٍ وعلى مستوىً عالٍ من الثقة. وفي حال مشاهدة العدوّ أو السماع به عبر القنوات العالمية والإنترنت، فإنها تُعتبر وسائل بثّ مؤثّرةٍ على العدوّ. وهناك طريقٌ آخر لنقل الرسائل للعدوّ هي عن طريق العملاء المعارضين للحكم. أو من يطمحون في أن يكونوا البديل لهذا الحكم ومثال ذلك عمل قسم الاستخبارات البريطاني في الحرب العالمية الثانية بتنظيم بثٍ إذاعيٍ في ألمانيا عن طريق ضابطٍ ألمانيٍ معارضٍ لهتلر؛ وهو قام بالبثّ المتحرّك من على

ظهر شاحنة في شارعٍ من شوارع ألمانيا؛ وعلى أرض الواقع، كان بثاً صحافياً بريطانياً تمّ بثّه من بريطانيا.

وهنا، فإن (إسرائيل) متّهمةٌ من قِبل الفلسطينيين بنشر بياناتٍ في اللغة العربية يخيّل أنها كتبت وطبِعت على يد الفلسطينيين. وقد أثارت هذه البيانات نزاعاتٍ وخلافاتٍ بين الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى؛ وهذه الخطوة سمّيت بدعاية سوداء black propaganda. أما في اللغة العسكرية (الإسرائيلية)، فسمّيت بالحرب النفسية السوداء.

خلال السنة الماضية، تراكمت خبراتٌ كبيرةٌ في نصوص مخاطبة العدوّ وإنتاج رسائل جذّابة. وهكذا تمّ طباعة بياناتٍ على الوجه الآخر للعملة والنقود، حيث تمّ طباعة وجه العملة الأوّل بشكل أوراقٍ نقدية والوجه الآخر صور إباحية. ومثل هذه البيانات تكون بمثابة بطاقة البراءة في حالة إلقاء القبض على هؤلاء الجنود. وفي بعض الدول، فإن حكم من يحتفظ بمثل هذه الرسائل هو الموت.

أساليب العمل – إتجاهات فكرية أخرى

هناك أسلوبان إضافيان للعمل، وهما ابتكار مبادرات الأحداث واستغلال هذه المبادرات والمناسبات. والهدف من هذه المبادرات هو خلق أحداثٍ حقيقيةٍ مقنعةٍ من بدايتها وحتّى النهاية. ومثال ذلك توقّع حدوث المجازر أو الهجوم؛ والتفوّق بهذا الأمر يكمن في أن العناصر الدعائية تقع ضمن السيطرة من المبادرة، ومثال ذلك الهجوم الذي جرى على ألمانيا من قِبل

الجنود البولنديين، والذي شكّل ذريعة للألمان لغزو بولندا سنة 1939. وخلال الانتفاضة الأولى بادر الفلسطينيون لإرسال سفينةٍ وعلى ظهرها مئات اللاجئين المطرودين من فلسطين في أسلوبٍ مغامرٍ لإدخالهم أرض فلسطين. وهنا، فإن ما كان ينقصهم هو استثمار الجهد الكبير الذي كان عليهم أن يستخدموه في إكمال تنظيم هذه المسيرة.

ومن السهل جداً الأخذ بهذه الأساليب، وذلك من أجل استغلال الفرص في الحرب النفسية، ومثال ذلك ما حدث عام 1915 حيث تمّ إصدار وسامٍ خاصٍ في ألمانيا على شرف سفينة لوزيتانيا الأمريكية التي أغرقها الألمان.و قد استغلّ البريطانيون هذه الحادثة، وجعلوا من هذه الأوسمة أداة شيطانية كبيرة، وقاموا باستنساخ مئات الآلاف من هذه الأوسمة، إضافة إلى طباعتهم بياناتٍ إعلاميةٍ تعرّف الألمان على أنهم حيواناتٌ مفترسة؛ وهذا الأمر أسهم مساهمة كبيرة في دخول أمريكا الحرب. ومثالٌ آخر هو استغلال (إسرائيل) لحادثة مقتل جنديين من الوحدات الخاصّة الإسرائيلية (مستعربين) على يد الفلسطينيين المتظاهرين عندما كشِف أمر الجنديين في رام الله، وذلك من أجل إبراز وجهٍ شيطانيٍ لعامّة الفلسطينيين.

الفصل الثاني: تطبيق مبادئ الحرب النفسية من قِبل الفلسطينيين وحزب الله

لم يأت موضوع الحرب النفسية في الصراع (العربي-الإسرائيلي) على أيام حرب الخليج، ومن خلال استعراضٍ سريعٍ لاستخدام الحرب النفسية من أيام حرب الاستقلال، نرى أن هناك مفاهيم تمّ استثمارها بأشكالٍ معيّنةٍ من كلا الطرفين.

فخلال الغزو المصري في مايو 1948، وزّع المصريون بياناتٍ باللغة العبرية على سكّان المستعمرات التي تقع جنوب البلاد: مستعمرة "يد مردخاي " ومستعمرة " نير-عم "، ودعتهم فيها إلى الاستسلام. وهذه البيانات كانت نتيجة جهود عسكرية لأسلوب الحرب النفسية للجيش المصري، لكنّها دلّت على الخطأ في فهم الأمور من قِبل هذا الجيش[9].

وفي البيان الذي ألقِي على مستعمرة (نير –عم)، كان يوجد خطأ أساسي ومهني في هذا البيان الذي كان وزّع من قِبل المسؤول عن إدارة الحرب النفسية. فقد كان عليه أن يمتنع عن التطرّق إلى موضوع ثقافة العدو وكان عليه أن يتطرق إلى ثقافته، حيث توجّه القائد المصري إلى المدافعين عن المستعمرات وطلب منهم من خلال هذه الرسائل أموراً استدلّ بها من القرآن، أو حسب ما أوضح أنها من التوراة.

وهذا التوجّه لم ينجح في التأثير على المعنويات العالية للجنود المدافعين.

(9) يُتوقّع أن هذا الأمر نابعٌ من تركة الجيش البريطاني في الحرب العالمية، وحتّى لعدّة سنوات بعد اندلاعها.

وكان الخطأ الأكبر يكمن في أن هذه البيانات الموجّهة كانت على أساسٍ ديني، وكان معظم سكّان هذه المستعمرة من العلمانيين؛ هذا بالإضافة إلى الأخطاء في الكتابة والنصّ التي جعلت من هذه البيانات أضحوكة.

أما حرب الأيام الستّة (1967)، فقد كانت قصيرة بحيث لم تسمح باستعمال أساليب الحرب النفسية بصورةٍ مفيدة. وفي مقابل ذلك، وبعد انتهاء الحرب، نفّذت خطوات واسعة في إطار ما يسمّى بالحرب النفسية في أوساط السكّان الفلسطينيين في الضفة الغربية و قطاع غزة، حيث عملت هذه الحرب النفسية على التأكيد على قوّة (إسرائيل)، وأنه من مصلحة الفلسطينيين الحفاظ على الهدوء و الأمن.

حرب تشرين عام 1973 تشهد أيضاً على قصّة انهيار أجهزة الجيش والإعلام الحيويتين في الحرب النفسية، وخاصّة التعامل مع الصحافة الأجنبية في (إسرائيل). فخلال الحرب، لم تؤدّ القيادة العامّة أفضلية في بثّ المعلومات واستغلالها لأهداف استراتيجية. وفي معرض الحرب النفسية "التكتيكية" في ساحة المعركة، فإن هناك احتمال وقوع أحداثٍ عرضيةٍ محلّيةٍ متفرّقة، مثل الإعلان عن عمليات الإعدام لقائدٍ سوريٍ من أصلٍ درزي، في حين أنه قتِل في ساحة المعركة. وهنا كان الهدف عبارة عن دقّ إسفينٍ بين النظام السوري ومواطنيه الدروز.

مصطفى طلاس، وزير الدفاع السوري قال إن (إسرائيل) قامت بجهود كبيرة في مجال الحرب النفسية أثناء حرب لبنان[10]، حيث وزّعت بياناتٍ

(10) مصطفى طلاس والغزو (الإسرائيلي) للبنان (تل أبيب:وزارة الدفاع 1988)

في مدينة صور تحثّ سكانها بأن يفسحوا المجال للجيش (الإسرائيلي) بالعبور شمالاً. ووزّعت أيضاً بياناتٌ لقادة الجيش السوري وذلك من أجل إقناعهم بالاستسلام؛ وبثّ صوت (إسرائيل) باللغة العربية رسائل للمقاتلين الفلسطينيين من أجل تحطيم معنوياتهم؛ وهكذا.

الفلسطينيون من جانبهم قطفوا ثمار العلاقة التي دامت لسنينٍ طويلةٍ مع مراسلي ومندوبي الصحافة الأجنبية ، الذين انتشروا في لبنان في هيئةٍ معقّدة، حيث استخدم الفلسطينيون العصا والجزرة. وعلى سبيل المثال، كانت الجزرة هنا هي السماح للصحفيين بإجراء اللقاءات الصحفية مع كبار قادة منظمة التحرير والزيارات إلى قواعد المنظمة؛ وكانت العصا عبارة عن عقوباتٍ على الصحفيين تبدأ بالتهديد و تنتهي بالقتل[11].

الفلسطينيون والانتفاضة والردّ الإسرائيلي

تعتبر الانتفاضة الأولى التي بدأت في كانون ثاني 1987 قصة مثيرة للنجاح، حيث فهم الفلسطينيون في المراحل الأولى من الصراع أن الخيار العسكري في حرب العصابات لن يأتي بالثمار المنشودة. لذلك، استثمروا كثيراً في مجال الإقناع، وكان العمل على مجموعة السكّان المحلّيين الفلسطينيين سهلاً، حيث كان أسلوب العمل بالنسبة لمنظمة التحرير في الجبهة الداخلية أسهل من أيّ شيء آخر؛ وتمحورت الجهود حول التغلّب

(11) تفاصيل عن مجموعة القصص الخلّاقة هذه، أنظر z.Chafetz, double vision: how the press distorts Americans view of the Middle East (New York: wiliam morrow and co, 1986). اختلف عليه الكاتب البريطاني (روبرت فيسك)، من الكتّاب البارزين المنتقدين ل(إسرائيل)

r.Fisk, pity the nation: Lebanon at war (London: andre deutsch, 1990)

على الصعاب التي كانت تطرأ في أثناء عملية بثّ المعلومات، وكانت الجبهة الداخلية مستعدّة لاستقبال المعلومات، وكانت العوائق الأساسية هي القيود التي وضعتها الرقابة (الإسرائيلية) وفقدان الإعلام المستقلّ. و قد استخدم الفلسطينيون الوسائل المضادّة في إطار المواجهة الدائمة مع الرقابة (الإسرائيلية) وتوسيع دائرة الإفصاح في التعبير عن الصراع الذي استمرّ لسنوات، وذلك من خلال تجنيد منظماتٍ دوليةٍ لحرّية التعبير عن الرأي. وحول موضوع الإعلام، إستخدم الفلسطينيون خدمات الإعلام في الدول العربية، مثل بثّ راديو منظمة التحرير من بغداد خلال الانتفاضة وراديو أحمد جبريل من دمشق، إضافة إلى تطوير وسائل إعلاميةٍ كثيرة، مثل بيانات مطبوعة وبثّ الإشاعات.

الأساس الذي تبنّته المنظمات الفلسطينية هو جمع أكبر كمٍ من المعلومات المقبولة والمضبوطة. وقد نشرت وكالات من داخل المجتمع الفلسطيني محسوبة على منظمة التحرير، إضافة إلى وكالاتٍ مستقلّةٍ معلومات عن آخر الأحداث المتجدّدة، مكّنت من التقديم لآراء متعدّدة، إضافة إلى خدماتٍ مثل الترجمة إلى المراسلين العالميين. وعملت منظمات معلوماتية صغيرة مثل Palestine press service pps - التابعة لإبراهيم قراعين و ريموندا الطويل، اللذين عملا من خلال مكتب صغير؛ ومنذ سنوات السبعينات، أنشأ الفلسطينيون علاقات وطيدة مع مراسلين أجانب، وقاموا بترجمة مواد تخصّ المجتمع الفلسطيني من اللغة العربية إلى الإنجليزية، وربطوا بين مراسلين يتطلّعون إلى المعلومات وبين قصصٍ ذات قيمة إعلامية كبيرة.

وخلال الانتفاضة الأولى، عرض فلسطينيون و(إسرائيليون) خدماتهم على شبكات التلفزة الأجنبية وعلى كلّ مكانٍ في العالم يهتمّ بالصراع. إن هؤلاء الأشخاص المحلّيين الذين يعملون لصالح منظمة إعلام خارجية يعتبرون خلية حيوية في العلاقة بين المراسل الأجنبي والواقع المحلّي. والفلسطينيون قاموا بهذه المهمّة على خير وجه؛ وقد كان العمل مع وكالات الأنباء يتمّ بموافقةٍ سياسيةٍ من قِبل فيصل الحسيني.

لقد جلب هذا الاستثمار نتائج إيجابية للفلسطينيين عبر وسائل الإعلام، وكان التلفزيون الأردني الذي يتمّ استقبال بثّه في (إسرائيل) مفيداً بالنسبة لهم، وذلك من حيث نشرات الأخبار التي أصبحت مصدر معلومات مهماً بالنسبة لفلسطينيي الـ48 الذين بحثوا عن مشاهد في التلفزيون لأحداث الضفة الغربية وقطاع غزة لم تقم نشرات الأخبار (الإسرائيلية) ببثّها، وأصبحت هذه المواد مصدراً هاماً للمعلومات المرئية.

وحول توجّه الفلسطينيين إلى "المدنيين الأعداء: مواطني (إسرائيل)"، فقد أجرى الفلسطينيون ذلك بواسطة الصحافة (الإسرائيلية)، حيث أنشؤوا علاقات عمل جريئة مع مراسلي الضفة الغربية ومع مراسلين آخرين في الصحافة المركزية (الإسرائيلية). وغيّر هذا التوجّه صحافة المجلات الفلسطينية التي صدرت في اللغة العبرية، مثل (الجسر)، لكنّها لم تنجح في التغلغل إلاّ داخل قطاعٍ قليلٍ من الناس ومنهم اليسار في المجتمع (الإسرائيلي).

وكانت رسالة الانتفاضة المركزية تجاه العدوّ والمحايدين: هي أن الاحتلال

(الإسرائيلي) غير شرعي وغير أخلاقي. ولذلك، يجب الاستعجال في مسيرة السلام من أجل حقن الدماء وتوفير المعاناة. ونتج من خلال هذه الرسائل الموجّهة رسالة أخرى أكثر أهمية ذكِرت آنفاً، وهي الشعور بالذنب؛ بالإضافة إلى رسالةٍ أن التخوّف (الإسرائيلي) من قيام دولة فلسطينية، تم من خلال تحييد الفلسطينيين نتيجة القوة (الإسرائيلية) الهائلة. وأدّت الرسالة الأخيرة إلى أشياء متناقضة، منها أنها أبرزت الفجوة والفرق بين القويّ أمام الضعيف، ومن ناحيةٍ أخرى قلّلت من التخوف لدى (الإسرائيليين).

وكمثالٍ على تنظيم مبادرات فلسطينية لمحاولة العودة والدخول إلى أرض فلسطين، نظّمت سفينة النقل المسمّاة (سول فرين)، والتي سمّيت "بسفينة العودة". وكان من المقرر أن تبحر هذه السفينة من اليونان باتجاه شواطئ فلسطين وعلى متنها اللاجئون الفلسطينيون الذين جرى طردهم من فلسطين؛ وتمّ تشكيل جهاز إعلامي كبير لهذا الأمر. ووصل العشرات من المراسلين إلى أثينا لعدّة أيام. وفي النهاية، أغرِقت هذه السفينة على شاطئ قبرص نتيجة لوضع لغم في أرضيّة السفينة. وألغي هذا التوجّه، وكان من الواضح بالنسبة للصحفيين هوية الجهة التي وقفت وراء هذا العمل.

نشاطات أجهزة الإعلام في (إسرائيل)

على الجانب الآخر من النشاطات الفلسطينية في زمن الانتفاضة، كانت أجهزة الإعلام (الإسرائيلية) متخلّفة، وسرعان ما انهارت في بضع ساعات. ولم تستطع إذاعة الجيش (الإسرائيلي) الوقوف أمام الضغوطات، حيث لم تفهم الحاجة للمعلومة الجاهزة للبثّ مسبقاً، واستخدِمت وحدة جهاز

الناطق باسم الجيش (الإسرائيلي) فقط للردود حسب قواعد" اللعبة المناسبة" أو (fair play) الأمريكية، بسبب التأخير وعدم إمكانية الحصول على إجابة فورية. تلخّصت جميع الإجابات بالإيجاز، "الجيش يفحص أسباب الحادث"؛ والإجابة الأكثر وضوحاً جاءت بعد عدّة أيام، ولم تشمل أو تلخّص الأحداث الشاذة. كان عمل الضبّاط المرافقين والذين من المفترض أن يشكّلوا العمود الفقري للنشاطات الصحفية مع المراسلين أوقات الطوارئ حسب فهمهم فقط، ولم يكن العمل مهنياً وحسب ما يتطلّبه أسلوب الرسائل مع المراسلين[12]. وحسب الفلسطينيين، إستخدمت (إسرائيل) أسلوب الحرب النفسية (السوداء) عن طريق نشر بياناتٍ مزيّفةٍ وإشاعات، كانت السبب في النزاع داخل المجتمع الفلسطيني[13]، واستخدِم الفلسطينيون هذا الأسلوب في بثّ الراديو التابع لأحمد جبريل من دمشق؛ كما استخدم هذا البثّ في رفع معنويات الفلسطينيين وبثّ رسائل مشفّرة حقيقية ووهمية. وقد حاولت (إسرائيل) التشويش على هذا البثّ؛ ولكن، بسبب نقص بعض الأمور، توقّف التشويش.

الوحدات الخاصّة (الإسرائيلية) التي عملت في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة مثل (شمشون، ودفدفان)، عادت بالفائدة النفسية والعملية (من دون قصد)، ودفعت الشهرة التي ظهرت لهذه الوحدات، والتي عرِفت في أذهان الناس على أنها وحدات القتل والموت، الكثير من المطلوبين الفلسطينيين إلى تسليم أنفسهم.

(12) j.lederman, battle lines: the American media and the intifada (New York: Henry holt, 1992).p159.

(13) الدكتور جواد عبد الصالح من (جامعة بير زيت) بحث في هذا الموضوع بحثاً مفصّلاً.

وفي النهاية، فإن الهوّة في مصادر الطرفين دفعت الفلسطينيين للقيام بمبادرة جديدة ومنظّمة في مجال المعلومات. واستخدم (الإسرائيليون) في الأساس مصادر عسكرية فشلت أمام التحدّيات التي وضعها الفلسطينيون من خلال معلوماتٍ منظّمةٍ وجوهرية. ولا شكّ أن تسويق القضية الفلسطينية سهلٌ جداً. ولكن، هذه الأسباب السهلة لا تعطي توضيحاً للفشل (الإسرائيلي)، وقد تغيّرت الصورة في الجولة الثانية من الانتفاضة.

أحداث 2000-2002

شكّلت الأحداث التي تلت شهر تشرين الأول من عام 2000 مانعاً إضافياً أمام استغلال نجاحات الحرب النفسية الفلسطينية، حيث يدور الحديث عن دولة فلسطينية فعلية. فمن جهة الحرب النفسية، فإن هناك قيوداً للفلسطينيين في استخدام الأسلحة التي تسبّب بوقوع قتلى (إسرائيليين) كثر. وهذا الواقع الجديد أثّر على الإنجازات الأساسية التي أنجِزت خلال الانتفاضة الأولى.

إن أساس الحرب النفسية في الانتفاضة الثانية هو العمل في اتجاهين : ضربات (الإرهاب) من جانب؛ ومن جانبٍ آخر، وجود نموذج ضعيف"ضحية". ويوجد للفلسطينيين وسائل إعلامية مستقلّة سهل الوصول إليها مثل –راديو وتلفزيون- ولكن يحاول هؤلاء استغلال تجنيد السكّان الأصليين على الرغم من العوائق من جانب السلطة. وحقاً، فإن الفلسطينيين لم يفقدوا حاسيّة المبادرة واستغلال الفرص في النزاع، في حين أن (الإسرائيليين) متردّدون ومتخبّطون بأخلاقيات الدعاية (باستثناء عملية خطف الجنود في رام الله،

حيث لم تشاهد هناك صور مفصّلة؛ ولكن كانت لها دلالات، مثل الدم على كفّ الشاب الفلسطيني). ولا يوجد للفلسطينيين أيّ مانعٍ لعرض أعضاء داخلية لأشخاص نتيجة إصابتهم برصاص الجيش (الإسرائيلي)، حيث تمّ عرض صور تلفزيونية ونشر صورٍ في الصحف.

إن استغلال صور جمجمة الطفلة اليهودية المثقوبة بالرصاص، التي قتِلت في الخليل (شلهيفت بس) ، كانت مبادرة خاصّة، ولم تكن مبادرة من قِبل الحكومة (الإسرائيلية). لقد تمثّلت الرسالة المركزية للفلسطينيين التي استخدموها في الانتفاضة الثانية في (ظلم الاحتلال). وفي هذا الجانب، فإن (إسرائيل) ما زالت متخبّطة حول مسألة تشويه مكانة ياسر عرفات، أو اعتبار هذا الأمر كرسالة هادفة في الحرب النفسية، في حين أن الفلسطينيين يستخدمون موضوع (ظلم الاحتلال) والضرر الأخلاقي، وأن هذه الرسالة تؤدّي إلى محايدة الضرر النابع من عمليات "الانتحاريين".

الصراع مع حزب الله

تنظيم حزب الله مثال للنجاح في مجال الحرب النفسية التي حدثت في لبنان، على الرغم من أنه تنظيم صغير يضمّ عدداً قليلاً من المقاتلين لا يتعدّى المئات، حيث استطاع أن يفرض إرادته على دولةٍ تُعتبر الأقوى عسكرياً في المنطقة، دون الاستناد إلى سلاح المشاة أو سلاح الجوّ أو وجود أسطولٍ بحري. كانت الفئة الأولى المستهدفة في الإعلام من قِبل الحزب هم سكّان جنوب لبنان، حيث أثبت حزب الله لهم أن بقاء (إسرائيل) في المنطقة هو قصير، وأن الحزب

قائمٌ ومستقرٌ أكثر؛ وللتوجيه، وجدت عدّة أذرع؛ فمن جهة، كانت هناك سيطرة على السكّان وحرب على مساندي الجيش (الإسرائيلي) (من جهة الناشطين المعروفين أو المجهولين). ومن جانب آخر، أنشئت مؤسسة لرعاية الشؤون الاجتماعية والثقافية، هدفها الوصول إلى أهدافٍ سياسيةٍ ودعائية، وهذه من مبادئ الحرب النفسية، التي كانت البديل للمؤسسة (الإسرائيلية). ومورست ضغوطٌ كبيرةٌ على سكّان جنوب لبنان من كلّ الأطراف (بما فيها الحكومة اللبنانية)، من خلال الرسائل التي وجّهت إليهم، والتي أكّدت على أن خيانتهم كانت خيانة للوطن الأمّ.

إن الوعي الثقافي لحزب الله من قِبل رجاله في المنطقة ساعده كثيراً على نقل الرسالة بصورةٍ إيجابيةٍ عبر الإعلام، ومن خلال العلاقات الاجتماعية التي أنشأها، إضافة إلى وسائل الاتصال المتعدّدة. والجماعة الثانية في الاستهداف هي (الجيش)، والتي شملت الجيش (الإسرائيلي) وجيش لبنان الجنوبي. لقد تزامن مسار الحرب النفسية مع العمل العسكري، وعرف حزب الله نقطة الضعف العسكرية لجيش لبنان الجنوبي وشنّ عليه حرب عصابات، وقام الجهاز الاستخباراتي التابع لحزب الله بتجنيد أفراد داخل جيش لبنان الجنوبي، وأعطى شعوراً أن كلّ شيء مكشوف داخلياً ممّا ساعد على انهيار معنويات الجيش الجنوبي.

وعندما بدأت أصوات الانسحاب تتعالى في (إسرائيل) من جنوب لبنان، ضاعف حزب الله من رسائله وبثّه في أوساط سكّان جنوب لبنان، وعرض مقاطع من مقابلاتٍ أجرِيت مع سياسيين مساندين للانسحاب.

أما الرسائل الموجَّهة إلى (إسرائيل)، فتعلّقت بالتصميم على مواصلة الكفاح والاستعداد اللامتناهي للتضحية بالنفس والممتلكات. ومثال ذلك خطاب نصر الله، والذي سقط ابنه في الحرب ضدّ (إسرائيل)؛ وتحدّثت هذه الرسائل التي بثّت عن "المستنقع اللبناني"؛ وهو تعبيرٌ مجازيٌ سيطر على الأذهان ومعناه "أخرجوا من لبنان"، ولماذا إطالة عمر المأساة دون فائدة؛ واستغِلّ موضوع المستنقع اللبناني كرسالة تاريخية، ويُقصد بذلك أن كلّ غازٍ (معتدي) للبنان قد انهزم، إضافة إلى أن حزب الله عمل كثيراً على توثيق المعاناة لغير المقاتلين.

إن استراتيجية حزب الله هي ممارسة الضغوطات من جانب المواطنين في (إسرائيل) على أصحاب القرار. ومسار عملية "عناقيد الغضب" قبل موعدها هو مثال للعمل العسكري الذي توقّف نتيجة بثّ صور التعرّض للمواطنين المدنيين (مذبحة قانا)، والتي نشِرت في جميع أنحاء العالم؛ وإن هذا الأسلوب الحديث في إدارة المعركة أعطى حزب الله أداة قوية للمواجهة بأشكالها.

وكانت الفئة المستهدفة من حزب الله في الجانب (الإسرائيلي) تجمّع السكّان في منتصف (إسرائيل). و تركّزت العمليات العسكرية في الفترة الأخيرة ضدّ جيش لبنان الجنوبي (لحد) والجيش (الإسرائيلي)، وتوقفت العمليات الهجومية لما بعد الحدود في السنوات الأخيرة، وذلك من أجل تدعيم الهدف الأساسي لتنظيم حزب الله وهو أن الحرب هدفها تحرير أرض لبنان من الاحتلال وأوقف الإعلان عن احتلال القدس مؤقّتاً.

أثمرت المعرفة بالثقافة (الإسرائيلية) بعدّة أشكال حول تنويع المعلومات.

فقضية الطيّار (رون أراد) والمفقودين بعد الانسحاب (الإسرائيلي) من الجنوب اللبناني، كانت مرحلة صعبة على (إسرائيل). فموضوع تحرير الأسرى يضرب عميقاً في الثقافة اليهودية، وقد أحسن حزب الله استغلال ذلك.

لقد بذلت (إسرائيل) جهوداً كبيرة من أجل خطف مسؤولي حزب الله اللبناني (عبيد والديراني). ولكن، لم تكن هناك أية جهود من قِبل (إسرائيل) لاستغلال وجودهما للمجال النفسي ما عدا عدّة مقابلاتٍ مع (عبيد).

إن بثّ الرسائل للجماعات المستهدفة والمختلفة قد تعاظم وتطوّر. فأنشأ حزب الله محطّة راديو وتلفزيون "المنار"؛ وهو أمرٌ لا يتطلّب الاستثمار الكثير. لكنّ نقطة الضعف في هذه الوسائل هي أنه من غير الممكن إجبار السكّان، خاصّة المستهدفين من الأعداء على استقبال هذا البثّ. ولكي يتغلّب حزب الله على هذه الحواجز، عمل على ما تمّ استخدامه بداية في الحرب العالمية الأولى، وهو بثّ مواد يتطلّع إليها العدوّ باهتمام[14]، حيث غرس حزب الله معلوماتٍ مسّت خلال هذه الحرب أوساطاً كثيرة ونالت اهتمام الجميع في (إسرائيل)، وأثارت مواضيع كثيرة. قيادة الجيش (الإسرائيلي) كانت على رأس أهداف هذه الرسائل التي قام حزب الله ببثها، وبعدها جاء دور رجال الصحافة المراسلين، وخاصّة مراسلي الشؤون العربية ومراسلي الضفة الغربية وقطاع غزة والمراسلين العسكريين؛ ولم تكن هناك مشكلة في الرقابة، وذلك لأن هذه الأمور تمّ نشرها في الصحافة الخارجية.

(14) طبع الفرنسيون صحفاً دعائية باللغة الألمانية وألقوها على الجنود في خنادقهم، وذلك من أجل استماله الألمان لطلب السلام. وهناك معلوماتٌ عن جنودٍ ألمان وقعوا في الأسر لدى الفرنسيين؛ وهكذا أيضاً حصل من خلال راديو القاهرة الذي كان يبثّ بالعبرية في الفترة (1973 –1974) حتّى إعادة الأسرى الإسرائيليين.

إن الأداة الأكثر نجاعة لدى حزب الله كانت من خلال المادّة المشاهدة. وهنا أثبت تنظيم حزب الله أنه من الأجدى استخلاص المكاسب الكبيرة بواسطة استغلال الخيال الخصب وإبداع وسائل إضافيةٍ بسيطة، إضافة إلى تطوير التنظيم لأسلوب قوانين المعركة للمادّة المشاهدة، وهي وجهة النظر القائلة "إن لم تصوّر-لم تقاتل"؛ إن كاميرا تصوير الفيديو البيتية كوّنت الأداة المركزية، وجرى عرض المواد التي تمّ جلبها من ساحة المعركة عبر محطّات التلفزيون بأسلوب خطابي رفيع المستوى؛ كما جرى البثّ مع تعليق أو بثّ موسيقى النصر. وفي واقع الحال، فإن كاميرا الفيديو تعطي كما هو معروف وصفاً انتقائياً للواقع. وهكذا أصبحت العمليات شعاراً مهماً بالنسبة إلى حزب الله. وفي عملية (دلعال)، فإن صور العلم (علم حزب الله) وهي ترفرف ولو لوقتٍ قصير، تُعتبر شيئاً مهماً بالنسبة لحزب الله، على الرغم من قناعته أنه سينسحب من هذا الموقع بعد قليل.

وبعثت المادّة المرئية في (إسرائيل) ذكرى معضلة أمريكية، بدايتها كانت في حرب فيتنام وآخرها في حرب الخليج[15].. وإن صور حزب الله التي بثّت في التلفزيون (الإسرائيلي)، وعلى الرغم من أنها كانت بجودةٍ بسيطة، لكنّها أمّنت مادّة كبيرة للتوثيق الخاصّ (المكشوف) للمنشورات.

(الإسرائيليون) شاهدوا هذه الصور باندماج بين التخوّف والانهيار: وحدات عسكرية تقع في كمين، أو مركبات أصيبت نتيجة انفجار عبوةٍ ناسفةٍ جانبية، خلقت انطباعاً نفسياً تراكمياً من النجاح العسكري لحزب الله.

(15) نالت (جين فوندا) (Hanoi jane) خلال حرب فيتنام اللقب عندما ذهبت لزيارة مدن الشمال، واتهِمت من قِبل أوساطٍ معيّنةٍ في الولايات المتحدة الأمريكية بالخيانة، وامتدِحت من قِبل جهاتٍ أخرى معارضةٍ للحرب.

مصدر آخر لبثّ الرسائل والمعلومات كان من خلال الإنترنت. فنموذج حزب الله باعتباره مجموعة من القوى الشيعية المترابطة والبدائية قد انتشر من خلال المواقع النشطة[16] التي قام الحزب بتشغيلها؛ ودخل على هذه المواقع (إسرائيليون) وشاهدوا صوراً مفزعة مفصّلة؛ مجموعة من الأصوات خاصّة مجموعة أصواتٍ لعمليات مختلفة. وقد فشلت المحاولات (الإسرائيلية) لإغلاق هذه المواقع من خلال أساليب المعلومات، عندما انضمّ العرب في عملية إيقاف المواقع (الإسرائيلية) وهاجموا مواقع الخدمات (الإسرائيلية)، ممّا دفع السياسيين (الإسرائيليين) للإسراع في طلب وقف عمليات الحرب الإعلامية[17] عبر مواقع الإنترنت.

وفي أعقاب الانسحاب من الجنوب اللبناني، خرجت أصوات في (إسرائيل) تنادي بالعمل ضدّ الحرب النفسية لحزب الله. ولكن، على أرض الواقع لم يتحقّق شيء.

(16) www.hizballah.org.

(17) www.ynet.co.il 26.10.2000 .

الفصل الثالث: الفشل (الإسرائيلي): مفهوم الإعلام ... تحليل تنظيمي وتصوّري

من خلال الفصول السابقة، تمّ استعراض أساسيات مبادئ الحرب النفسية وتطبيقاتها في النزاع (الإسرائيلي)-العربي. وعلينا أن نشير إلى عناصر الفشل المختلفة في تطبيق الحرب النفسية في (إسرائيل) قبل عرض اقتراحات الارتقاء إلى الأفضل.

وإن كان هناك في (إسرائيل) إجماعٌ عامٌ يوحّد الشعب بجميع أطيافه من اليمين وحتّى اليسار، فهو مجمِعٌ على قول (أنه لا يوجد لدينا إعلام ناجع).وفي هذا الفصل، نناقش جذور الفشل (الإسرائيلي) من الناحية (التصوّرية، والتنظيمية) في استخدام المعلومات بهدف الوصول إلى أهدافٍ سياسية.

شعبٌ منعزل

عناصر متعدّدة كانت وراء فشل الحرب النفسية في (إسرائيل). وكان الفشل الأوّل في المسار الفلسفي. وفي الفصل الأوّل أشرنا إلى العبء السلبي فيما يتعلّق باستخدام الدعاية في (إسرائيل) بعد الكارثة (الهولوكوست).

ويشكّل مفهوم الإعلام وجهة النظر للنفسية (الإسرائيلية)، فينطوي بداخله على مأزقٍ لم يُحلّ حتّى اليوم.وفي رغبة (إسرائيل) غير المتوقّفة في طمعها بالاعتراف الدولي، وإن هذه الرغبة كانت أساس الجهود نحو التطوّر في العالم الثالث في الزراعة و أمورٍ أخرى. وأظهرت الجهود التي انهارت في سنة 1973خلال ساعات تحت الضغوطات العربية واللجنة الدولية المناهضة

للعنصرية في (ديربن) ، الموضوع مرّة أخرى، وطرِحت المسألة على بساط البحث. وأدرك هذه الصاعقة الشباب (الإسرائيلي) ـ المراسلون ـ أعضاء الكنيست والطلبة ـ بعد اكتشافهم للآسامية التي ظهرت في أروقة الاجتماع أو في شوارع المدينة.

في الماضي، ظهرت من بين السطور إتهاماتٌ مفصّلة للصحافة الخارجية باللاسامية. وعلى سبيل المثال موضوع (حادث الاستطلاع لحادثة خطف الجنود في رام الله) كمثال ودافع رئيس لاستعراض النزاع (الإسرائيلي) العربي، وعندما كان المراسلون أو المحرّرون أو مسؤولوهم من اليهود يسعون إلى توضيح الأمور للمواطن (الإسرائيلي)، والتي تدور في أساسها حول إجبار شخصٍ على الاندماج داخل مجتمعٍ جديد.

ومن دون تحديدٍ فيما إذا كان هذا التصوّر صحيحاً أم لا، فهو لا يساعد حسب رأي قليلٍ من الناس في موضوع الدعاية وتطبيقاتها العسكرية (الحرب النفسية)، حيث أدّت الاتهامات اللاسامية إلى نتائج سلبية وقلة الرغبة في الاستثمار.

الفشل الآخر هو التصوّر اليهودي للنظرة التفاؤلية حول ما يتعلّق بنهاية الزمان، وأن نهاية الصدق هي النصر الذي نسمع به في فكر المسيح، علاوة على أن الصدق سينتصر في المستقبل؛ لكن، في الواقع لا ندري أننا سننتصر خلال الجدال هنا والآن. ويربط هذا التصوّر إلى حدٍ معيّنٍ تصوّر اللاسامية، وكلاهما يساند من يعملون في مهنة الإعلام.

التطرّق لاستخدام الدعاية

إلى جانب هذه التصوّرات، فإن هناك حزناً غير مألوفٍ حول كلّ ما يتعلّق بالدعاية (من الناحية السلبية، مثل الدعاية المفزعة)، لأنها لا تشير إلى الشرح والتوضيح حول ما يتعلق بذكرى الكارثة (الهولوكوست) على يد النازيين. والمقصود هنا كرهٌ ومقتٌ لنمط الديمقراطية في أوساط الجماهير في (إسرائيل)؛ ولم يكن هناك استخدام للدعاية على الأقلّ في وقت الحرب بسبب هذا النمط من الكراهية الموجود في الدول المتقدّمة في الغرب.

يظهر استخدام الإعلام العاطفي من جديد في كلّ موجة (إرهاب) فلسطينية. ومثال ذلك الانتفاضة الأولى التي انحدرت إلى "قتل داخلي بين الفلسطينيين على مستوى كبير"، وقتِل خلالها عناصر قضائية لها علاقة بالمستوى الشعبي الأمني، والشرطة قامت بتنفيذ عمليات اعتقال؛ وفي عملية التحقيق عن هذه الأمور، تمّ تنفيذ حكم الإعدام بعددٍ كبيرٍ ممّن تمّ اعتبارهم متعاونين مع الاحتلال. كانت صورة منحرفة ومخيفة، وكانت هناك إمكانية نشرها لأهداف الإعلام؛ لكن، هذه الفكرة تمّ الاحتفاظ بها.

وهنا نشير إلى أن محصّلة هذا الأمر كانت صحيحة، علاوة على أننا ملزمون في البحث عن نقطة توازنٍ في رسائل مفزعة، وذلك من أجل تنفير المشاهد، ويوجد أساليب كتابية مختلفة وجدت من أجل التستّر على المواد المشاهدة في التلفزيون، لم ولن يراد نشر مثل هذه المواد. لكنّ هذا الأمر يُعدّ واحداً من أمورٍ كثيرةٍ من أساليب استخدام وسائل مثيرة للعواطف atrocity propaganda.

في العقود الأخيرة، وخاصّة بعد اتفاق السلام مع مصر، ظهر في (إسرائيل) إتجاه لفهم العالم العربي بأسلوبٍ خياليٍ مثالي، ومحاولة تغيير أسلوب التعرّض للعرب بشكلٍ سخيف. وهناك عدد من العناصر القليلة، خاصّة في أوساط اليمين،يعاندون عرض صور كاريكاتير لا سامية في العالم العربي. وهنا، لا يبدو أن تأثيرهم كبير، وإنّ مثل هذا الوضع يصعّب من إيجاد رسائل عاطفية أوقات الحرب مثل بشاعة العدوّ. لكنّ استخدام الفلسطينيين للسلاح و(الإرهاب) و(الانتحاريين) ، إعتباراً من شهر أكتوبر (2000) ، أدّى إلى هزّةٍ في رأي الجماهير داخل (إسرائيل) لصورة العرب؛ لكن، وكما ذكِر سابقاً، فإن قضية "خطف الجنود" في رام الله بقيت كحادثٍ شاذٍ لاستخدام أسلوب ظاهرة العدوّ.

(الإسرائيليون) والمادّة المشاهدة

بصورةٍ عامّة، نرى أن لرهبة (الإسرائيلي) من المادة المشاهدة جذورٌ يهوديةٌ عميقة. فإنه يوجد لليهود حاجز نفسي عميق من المشاهدة، والتي تُعتبر استثناء. كما هو الراسخ بالنسبة للأمريكيين من الطبقة السفلى في المجتمع؛ والنظرة بين المجتمعين الأمريكي و(الإسرائيلي) هي نظرة تكافئية ثنائية.

وعلى النقيض، تقف حقيقة المشاهدة والتي تصوّر اليوم مركز الصراع الفلسطيني، ويتقدّم الإقناع ونقل المعلومات أكثر فأكثر في تصميم المشاهدة. وأصبح التلفزيون قبل عقدين أداة إخبارية من الدرجة الأولى سحبت إليها الصحافة المطبوعة وأيضاً الإنترنت. وفي نطاق الأدب الكتابي، فإن هناك باباً

لحوادث تمّ الاهتمام بها من قِبل CIA لدى شبكة CNN حول إمكانية إنتاج تقارير استخباراتية داخلية بتصميم الفيديو، بما أن المسؤولين لا يقرؤون التقارير.

إن الرسم الكاريكاتوري في الصحافة المطبوعة فيه نوعٌ من التعبير عن الرأي من خلال وسيلة الإعلام المشاهدة الموجودة في الصحافة. وأمام هذا الهدف، فإن (إسرائيل) تردّ إلى حد معيّن بصورة كلامية وحقيقية منمّقة ومفصّلة. وعلاوة على الأسباب التي ذكِرت سابقاً، فإن لهذا الأمر جذوراً حضارية متجذّرة؛ وقد أظهرت دراسة في موضوع الإعلام والحضارة العلاقة بين التصوّر التاريخي لحضارة ما وبين الاتجاه إلى خلفيّةٍ مفصّلةٍ مثل اللقاءات العملية. العالم العملي الأمريكي "وفيه الخلفيّة المتحجّرة والتقدّم يشكّل فصلاً قصيراً يتصادم مع هذه الخلفيّة للتصوّر الأوروبي[18]. وعلى ضوء التاريخ الطويل للشعب اليهودي، لا عجب في أننا نتوجّه لإعطاء استعجالٍ وشرحٍ أساسيٍ في حين، وكما هو معروف، أنها مسألةٌ غير شعبيةٍ اليوم.

قلّة نشاط وفاعلية

فشلٌ آخر نابع من حقيقة الصراع بين الدولة بمؤسساتها وبين منظمةٍ سياسيةٍ وعسكرية. فمجال الدعاية والحرب النفسية يفرض علينا الفاعلية والنشاط والإبداع متعدّد الجوانب. ولذلك، فإن هذا الأمر هو من اختصاص الشباب والمهنيين أرباب الخبرة الطويلة؛ فمن السهل أن يتبنّى أيّ تنظيمٍ

(18) e .t hall and m. reed hall , understanding cultural differences(yarmouth ,me :intercultural press ,1999),p.17.

سياسيٍ استراتيجية دعائية لتغيير التوجيه حسب ما هو مطلوب. فالدولة المستقرّة تعمل بهدوءٍ وتروٍ؛ والأهمية السياسية موجّهة نحو النجاة الشخصية كعاملٍ أوّلي؛ وفقط بعد ذلك لصالح الموضوع، وجِد نظامٌ لدراسة شاملة يضع الدولة في مكانةٍ مستقرّةٍ أمام منظمةٍ ناشطةٍ وفعّالة. وعلى سبيل المثال، أنشأ الفلسطينيون خلال الانتفاضة شبكة معلوماتٍ منتشرةٍ في أنحاء البلاد وشملت أصحاب الأكشاك، وسائقي السيارات العامّة ومتطوّعين ساهموا في نشر الأخبار خلال دقائق.

في حين أن إذاعة الجيش (الإسرائيلي) عملت من أجل بثّ معلوماتٍ بعد تمريرها على جميع المسؤولين في ألوية الجيش وقيادة الأركان؛ وبعد الانتهاء من تمرير هذه المعلومات، تصل إلى وكالات الأنباء متأخّرة. و قد حدّد البروفيسور (يحيزقيل درور) الجمود كسببٍ مركزيٍ في تحليله للفشل في أجهزة الإعلام (الإسرائيلية)[19].

داوود وجالوت الفلسطيني

سببٌ آخر للفشل (الإسرائيلي) نابعٌ من المصادر الأساسية للحرب النفسية، وهو استغلال التضامن الإنساني مع الضعيف. التجمّعات اليهودية بجميع توجّهاتها المختلفة تعلّمت بشكلٍ أساسيٍ استخدام هذا المبدأ، خاصّة في فترة الصراع ضدّ الإمبراطورية البريطانية. ولكن، عندما نالت (إسرائيل) إستقلالها، أهمِل هذا المبدأ تدريجياً(دولة صغيرة محاطة بالأعداء) حتّى حرب الأيام الستّة؛ وعندها أهمِل نهائياً.

(19) في مقدّمة كتاب المؤلّف (موشي يغر) سنة 1986، نائب المديرالعام للمعلومات في وزارة الخارجية سابقاً حول نشأة جهاز الاستعلامات الخارجية لإسرائيل (تل أبيب، لهف 1986)، ص 14.

الهدف الاستراتيجي هو أن تعرض نفسك على أنك الضعيف، كما يعبّر عنه اصطلاحٌ شائعٌ اليوم. وقد نجحت (إسرائيل) في الحفاظ على هذا النموذج حتّى حرب الأيام الستّة أو حرب عام 1967. الفلسطينيون طبّقوا مبدأ الضعيف بصورةٍ كاملةٍ خلال الانتفاضة الأولى؛ لكنّ هذا الهدف غير الممكن بالنسبة لـ (إسرائيل) في أعقاب الأمر المشهور لـ (أشكول) على (شمشون الجبّار - المسكين)؛ وحسب هذه المقولة، علينا أن نعرض أنفسنا في جانب الضعيف أمام العالم العربي، وفي هذا الموقف يكمن التناقض الكبير.

من جانبٍ آخر، فـ (إسرائيل) مضطرّة أن تحتفظ لنفسها على قوّة الردع وأن تعلن عن عظم قوّتها من جهة؛ وفي مجال المعلومات، فإن على (إسرائيل) أن تخفي قوّتها وتظهر قوة أعدائها. وهذه مشكلةٌ صعبةٌ يتطلّب حلّها إبداعاً خاصاً.

مشكلةٌ أخرى تعاني منها (إسرائيل)، تعود جذورها إلى التخبّط في تحديد الهوية (الإسرائيلية) ، ومحاولة التغلّب على الحواجز النفسية (الإسرائيلية) الصهيونية التي تتعرّض للاهتزاز من زمن الشتات.

الفصل الرابع: خطوات عملية

الأسباب التي أخِذت في الفصل السابق أدّت إلى وضعٍ تُدار فيه الدعاية بشكلٍ عامٍ بمبادراتٍ شخصية (لإسرائيليين) أو يهود غيورين من خارج البلاد، عن طريق إعلانات تأييدٍ ذات قيمة ولها احترامها في الصحف العالمية المميّزة، أو بمبادراتٍ حكومية أو عسكرية لهذا الغرض بالذات. النشاطات الرسمية على أحسن الأحوال تعتمد على إعداد المعلومة، أو كرّاسة أو شريط لأحد عناصر الدعاية.

في هذا الفصل سنعرض نموذج لإعادة تنظيم و معالجة موضوع الإعلام. إذا ما نجحت أحداث مؤتمر (ديربن) وعملية (الدرع الواقي) وهي (حملة ضدّ الفلسطينيين) بأن تهزّ قليلاً معتقدات (الإسرائيليين)، من الممكن أن نداءً لإقامة جسمٍ أو هيئةٍ تعالج المعلومة بصورةٍ أكثر نجاحاً سيكون ذات ناتجٍ طيّب. و النموذج المعروض من الممكن أن يكون نموذج لخطواتٍ يجب الأخذ بها.

أساسيات العمل

قبل مناقشة إعادة التنظيم من جديد، من المهم الإشارة لعددٍ من الأساسيات المهمّة التي ستطبّق في إطار هيئاتٍ ستكون جزءاً من التنظيم الشامل.

مفاهيم الحرب النفسية وجمع المعلومات

في البداية، علينا التغلّب على الصعاب الداخلية مع نقص المفاهيم في موضوع الحرب النفسية. وعلينا التنازل مرّة وللأبد عن هذا المصطلح (المسبّب للشلل)، وهو الدعاية التي تبيّن وتظهِر الضعف العميق حسب ما أشرنا إليه في

الافتتاحية. علينا أن نسوّق الحاجة الماسّة للتعبير مثل " معلومة استراتيجية أو إعلام استراتيجي (كإسمٍ مؤقّتٍ بديلٍ عن الدعاية) في داخل المؤسسة الأمنية والسياسية في (إسرائيل). والمسكنة أوالضعف الذي تتظاهر به (إسرائيل) منذ بداية الصراع وحتّى الاستقلال ليس في مكانه. وحسب ما عرِض في الفصول السابقة، ينتصر (الإسرائيليون) اليوم في المعارك ليس بأقلّ من مساعدة العلم والمعلومة من طريق فوهة المدافع.

وفي سياق الحديث، سنأتي بنقاشٍ مفصّلٍ عن الهيئات الحكومية وجهاز الأمن. وفي هاتان الهيئتان (الحكومية والأمنية)، الأشخاص مُلزِمون بإقامة استكمالات في جميع المستويات، من أجل إعدادهم وتأهيلهم حول طابع أعمال الدعاية القائمة في الهيئات المختلفة. و يجب تحرير الرسائل بأسلوب دعائي حتّى نفهم كيف أن الفلسطينيين والدول المعادية يستخدمون المعلومة من أجل الوصول إلى أهدافهم[20]. وبعد هذا، يجب تأهيل طواقم قيادة مهمّتها توجيه كلّ الهيئات المذكورة أعلاه بما يتعلّق بفنّ الدعاية والترويج في خطواتها وأعمالها.

طريق ممتازة لاستيعاب التغيير هي بواسطة إقامة حلقات نقاش، يناقش المشتركون فيها الحاجة للمعلومة الاستراتيجية وإمكانيات التطبيق في تنظيمهم. وهكذا ستُستخدم النقاشات والاجتماعات التي تُعقد وتبادل الآراء التي سيكون مردودها كبيراً وحيوياً، لكن باستثمارٍ غير كبير. ومن الممكن إعداد لعبة حرب، مع التأكيد على عنصر الحرب النفسية.

(20) إعلانٌ كهذا باسم (خطوط الدعاية) نُشِر من قِبل وحدة جمع المعلومات من الصحافة المعلنة في شعبة الاستخبارات حتّى نهاية السبعينيات.

تحديد رسائل أساسية

المرحلة التالية هي إعداد رسائل استراتيجية. فنحن معنيون بسنّها بين التجمّعات المختلفة.ويجب إقامة هيئةٍ تحاول الوصول إلى إجماعٍ حول رسائل (إسرائيل) الدعائية. فرسالة اليوم مشوّشة وغير واضحة: خاصّة التركيز على رغبة (إسرائيل) بالسلام والاستقرار، ونحتاج بين الحين والآخر قبس وومضات بإثارة الشكّ والاستياء وتوقّع هجوم عدوّ عربي؛ بصورةٍ عامّة بعد حادث عنيفٍ. نحن نحتاج إلى رسالةٍ عليا، تشكّل هدفاً شريفاً نتطلّع إليه، لكنّه خالٍ من المعنى والمغزى ولا تأثير له على صعيد الإقناع. لذلك، يجب صياغة أهداف (إسرائيل) وفي كلّ المجالات حتّى يتمّ فهم كلّ الجهات المستهدفة.

تجهيز الرسائل ليس بالمهمّة السهلة قطعاً، كنتيجة التجزئة الأيديولوجية للمجتمع في (إسرائيل). و الصعوبة تنبع من أن مهمّة كهذه تمسّ بجذور الهوية (الإسرائيلية) والجمهور (الإسرائيلي)، كما ذكِر سابقاً، حيث لم يتبلور أيّ موقفٍ حول ماهيّة العلاقة بين (الإسرائيليين) والعالم غير اليهودي، وحول هوية اليهودي (الإسرائيلي).

الجهة التي تحسم اليوم في اختيار الرسائل هذه هي وزارة الخارجية. وهي منذ القدم مهمة مركّبة بقدرٍ ما من التماسك الأيديولوجي لـ (إسرائيل) ليبرالية علمانية منفتحة ومتقدّمة، ومتقلّبة تقلباً حقيقياً لأنها تعاني من اللاسامية أفراداً أو مؤسسات. ومن الصعب جداً صياغة عدد من الرسائل

القليلة بمستوىً استراتيجي. مع هذا الوضع، من الممكن صياغة عدّة رسائل بمستوىً عالٍ وعلى المستوى المحلّي (مستوى المنطقة) وبشكلٍ تكتيكي، مثل الحقّ بالعمل (ضدّ الإرهاب)، العلاقة التاريخية، البحث عن شريكٍ للسلام. على سبيل المثال، في أعقاب الرسائل العالمية، وداخلياً من (خلال) استشاراتٍ على رجال الجمهور الذين من الممكن الوصول إلى اتفاقٍ حول الطرق لتسويقهم.

الانتقال للمرئيّات

خطٌ مركزيٌ لعمليات الإقناع يجب أن يكون بالانتقال للمادّة المرئية. ولا يوجد جديدٌ بالقول أنه لا تتوافر (لإسرائيل) صورٌ كافية، لكنّنا ملزمون بأن ننقل للجهاز الأمني الرسالة بشأن أهميّتها العليا للإقناع المرئي. والمقولة المعروفة " لم تنشر لم تفعل " يجب أن تكون مترجمة في الجهاز الأمني إلى " لم تصوّر لم تنفّذ"؛ هذا هو انقلابٌ مفسّر. ولكن، من الواجب أن ينفّذ إذا ما كان بنيّة (إسرائيل) أن تدخل لعصر الحرب في الألفية الثالثة.لهذا، يجب أن تلزم المرئيّات بأن تكون، أساسٍ عملي مركزيٍ موجّهٍ في طريق العمل بحسب ما يتطلّبه. المرئيّات يجب أن تدخل إلى اعتبارات إدارة المعركة. هذه المقولة بالتأكيد ستثير الكثيرين؛ لكن، لا مهرب من ذلك.

القائد في الألفية الثالثة في كلّ الدرجات يجب أن يدخِل عنصر المرئيّات إلى داخل جهاز الاعتبارات وإدارة المعركة. هذا الشيء بدأ ينفذ إلى مبادئ إدارة المعركة في الحرب الأقلّ حدّة (قوّة) في (إسرائيل). ومن الأفضل أن لا

ينفذ إلى الحرب التقليدية، الظلم (القسوة) الإضافي الذي سيقع على الضابط والجنود سيكون ثقيلاً، لأنه يمنع أن يكون له تأثيراً أيا كان على الهدف الأوّل، وهو تنفيذ الأوامر والمهام وثمّ النصر. الادّعاء هو أنه إذا لم تكن هناك تغطية تصويرية نوعية للعملية العسكرية حينها، فإن العملية السياسية المضادّة التي ستأتي في أعقاب ذلك من جانب العدوّ ربّما تقلب الانتصار العسكري إلى (انتصار يُنتزع بثمنٍ باهظٍ جداً).

تطبيق هذا الأساس ممكن أن ينفّذ بعدّة أساليب. و يجب تقليد حزب الله الذي يزوّد المعركة بالوثائق وينشر الصور بسرعةٍ وخصوصاً في حالات الانتصار، حتّى وإن كانت محدودة فهذا يعظّم الانتصار. يجب أن ندخِل للكادر المعركي مصوّر فيديو ومصوّر فوتوغرافي يبدأ من مستوى القسم. كلّ جندي وقائد بالمعركة عليهم أن يتطوّروا فيما يتعلق بتصوير الفيديو، حتّى يفهم الجدوى التي يمكن أن تتحقّق بمساعدة هذه التصاوير، مثل زوايا مختلفة وإعداد الصور والمصوّر. بالإضافة إلى مهامه العسكرية، عليه أن يصف المعركة بكاميراته[21]. من الممكن تنفيذ تغييراتٍ على هذه الفكرة. وإحدى الامكانات هي تعيين رجل إعلامٍ خاصّ، عنده خلفية أو لمحة عسكرية؛ رجل كهذا يكون جزءاً من القوّة. وبمفهوم العبارة أن يعرف تشغيل قطع السلاح وأجهزة الاتصال ويعرف أن يضمّد الجرحى، لكنّه غير مقاتلٍ بشكلٍ إداري؛ عليه أن يتلقّى تأهيلاً عميقاً بموضوع الصحافة، التصوير الصحفي، بثّ الراديو، تصوير الفيديو؛ عدّته

(21) هذه الفكرة مصدرها ليس حزب الله. وقد نفّذت في أوّل مرّة من قِبل (غوبلز) الذي أنشأ وحداتٍ للدعاية في الجيش pk-pro-poganda kompaine، وكانت جزءاً من وحدات الجيش المنظّم، ودخلت تقاريرها بعد تحريرها إلى مركزٍ التوجيه السينمائي الأسبوعي، وهذه الطواقم جلبت معها صوراً من خطوط المواجهة؛ وقد قتِل وجرِح الكثير من العاملين فيها.

يجب أن تكون هاتفاً نقّالاً، كاميرا فيديو عالية الجودة وكاميرا رقمية عالية الجودة، مسجّل رقمي، كمبيوتر محمول؛ مهمّته العسكرية ستكون في وصف المعركة بالوثائق، والمعلومات التي ستُنقل بسرعة، سيعمل عليها ضبّاط اتصال سيسوّقونها للحاجات المختلفة حسب الحاجة والواقعة.

إمكانية أخرى هي استخدام جندي معركي (حربي) وإعطائه عدّة إضافية لا تزعجه ولا تؤثّر على مشاركته في المعركة كباقي الجنود. بمفرده، ستكون له مهمّة إضافية لرجل الاتصال بالوحدة.وعلى الضبّاط و أصحاب الاختصاص المساهمة في تهيئة هذه المعدّات (وهي بالأساس موجودة) لحاجات الجيش؛ كاميرا فيديو موصولة بالحزام أو على الخوذة القابلة للتشغيل والسيطرة عن طريق "ريموت" موجود على عقب البندقية[22].

من المناسب والمعقول أن تكون هذه عملية طويلة من التجربة للتغلّب على المحافظين. لن تكون مشكلة في إقناع الجنود للذهاب في هذا الاتجاه الذي يعِد بإمكانية فتح مجال العمل في المستقبل؛ وجنديّ الاتصال ممكن أن يكون جندياً نظامياً و ثابتاً وليس في صفوف الاحتياط بعد أن أصبح صاحب تجربةٍ في مجاله. وهناك صعوبة متوقّعة، وهي ارتفاع مكانة الجنود في عين القيادة مع اختراق مؤسسة العلاقات العامّة للجمهور والجيش، الذي كان بالأمس من نصيب الضبّاط الكبار ونزل الآن إلى مستوى الكتائب والأقسام. وهناك حاجةٌ لإبداء الرأي بشأن هذه المشكلة[23].

---

(22) انظر ملحق سيناريو خيالي للعمل العسكري في زمن المعلومة.

(23) نُشرت في الصحافة، وفيها الإعلان عن أن الجيش (الإسرائيلي) قام بتوزيع كاميرات على الجنود، وكان الجيش (الإسرائيلي) قد وزّع سابقاً مثل هذه الكاميرات؛ لكن لم يتمّ استخدامها بشكلٍ مناسب، ولم يعلن أيّ

ينقل الجنود المعلومات التي جمعوها إلى مركز المعلومات، الذي من الأفضل أن يكون بدرجة هيئة أركان عامة. الطريق الوحيدة لتطبيق التغييرات التي اتخذت أعلاه في مجال العلم والمعلومة على يد الجيش عن طريق إنتاج فريق مهني حيث يجب أن نستثمر بالأيدي العاملة ذات الجودة والنوعية والعمل على تقديم أوسمة للناجحين[24]. بالإضافة للتصوير، هناك أيضاً تعابير مرئيّة أخرى: الكاريكاتير على سبيلٍ مقنع، هو أحد الطرق الفعّالة جداً إذا لم تكن الأصعب على الهضم.والكاريكاتير هو الوسيط الذي يستطيع نقل رسالةٍ لاذعةٍ أو ساميةٍ بصورةٍ مقنعة؛ وهذا فنٌّ بكلّ ما تحمل الكلمة من معنىً.

رسّام الكاريكاتير هو صحفيٌّ يعبّر عن رأيٍ بشكلٍ مرسوم. ومن الصعب جداً أن تعبّر عن فكرةٍ بإضاءات بالكلمات، لأنه يتطلّب موهبة كبيرة. وتأثير رسّام الكاريكاتير عظيم، لأن العين تستوعب العنصر المرئيّ بشكلٍ أسرع من كلماتٍ مكتوبة تتطلّب جهداً فكرياً وعقلياً[25].

(لإسرائيل) مصلحةٌ في أن تطوّر هذه الوسيلة الإعلامية من أجل التقدّم بأهدافها. ولا بدّ من تطوير أفكار ومبادئ القتال ونقل الرسائل التي صيغت مسبقاً بشكلٍ مرئيٍ بوسيطٍ كاريكاتوري، وتُنشر بأشكال مختلفة[26].

تفصيل عن الكمية الموزّعة؛ وهذه بالتأكيد خطوة في الاتجاه الصحيح، صحيفة (كل هعير) 27 –9-2001.

(24) الوضع كان مشابهاً في الجيش الأمريكي قبل عشرين سنة. ففي مهمّات ضبّاط العلاقات العامة [officersof public affairs]، وجِد ضباط فاشلون في نهاية سيرتهم الذاتية؛ الرئيس (رونالد ريغن) أمر وزير الدفاع (واينبرغر) بتغيير الوضع؛ وخطوته الأولى كانت إنعاش الحرب النفسية، والخطوة الثانية كانت تخصيص ميزانية جديدة، وإقامة قواعد تدريب وتجنيد ضبّاط متميّزين وشراء وتطوير معدّات.

(25) في الولايات المتحدة، توجد مجموعةٌ صغيرةٌ من رسّامي الكاريكاتير مستفيدة من هذه الحالة.

(26) خلال السنوات الماضية، كان من المقبول جمع صور كاريكاتيرية مضادّة لإسرائيل ومعادية للسامية.

ويجب أن تمرّ رسائل مختلفة بمرحلة إعدادٍ و دراسةٍ حسب السيناريو الثابت أو المتغيّر فيما يتوافق مع الاحتياجات السياسية، وأن ينشر بشكلٍ مبدعٍ و ملفتٍ للنظر. يستطيع هؤلاء أن يزيّنوا مواقع (إسرائيلية) رسمية أو مواقع غير (إسرائيلية)، وأن تكون منشورة على ظهر البيانات.ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الثقافات المختلفة لكلّ مجموعاتٍ كاريكاتورية، وخصوصاً الرسائل الموجّهة للعالم العربي. يمكن نقل رسالةٍ مقنعةٍ على شكل كاريكاتير للقوّات العسكرية الموجودة في الانتظار في ساحة المعركة، مثلما عمل الأمريكان في حرب الخليج(27).

كشف معلومات وجمعها

المعلومة المستخدمة في الحرب (القديمة) تُجمع بكمياتٍ كبيرة، وتهدف في الأساس لأهدافٍ استخبارية. مقابل هذا، في الحرب الجديدة، هناك إلزامٌ بإخراج المعلومة من عالم السرّ إلى العالم المفتوح. والعلاقات المتبادلة بين الشعب والحكّام المنتجين ووسائل الاتصال التي تنقل المعلومة تقريباً في وقت حدوثها؛ وهذا شيءٌ لم يحدث من قبل في تاريخ الحكم والسلطة.

في إدارة المعارك اليوم، من المهمّ معرفة كيف تؤخذ الحرب؛ وهذا ليس بأقلّ أهمّيةٍ من إدارة المعركة نفسها. ولهذه الخطوة إيجابياتٌ وسلبيات: الأفضلية أن المعلومة موجودةٌ في متناول اليد، تجلب الانتباه (جذّابة) لكنّها بحاجةٍ إلى تنسيقٍ بسيطٍ من أجل أن تصبح معلومة إخبارية؛ والجانب السلبي

(27) نظرة سطحية إلى هذه البيانات تؤدّي إلى تبرير الانتقادات التي وجّهت إليهم من قِبل قادة عسكريين في الظهران. لكنّ رجال الحرب النفسية إضطرّوا إلى توضيح الأسلوب بالرسم البياني والمقبول في العراق

r.D .Johnson, seeds of victory psychological warfare and propaganda (atglen, pa: schiffer publishing 1997.

هو الانقلاب النفسي المطلوب من جهاز المخابرات،والذي كان مسؤولاً حتّى الآن عن جمع المواد لنشرها للجمهور. هذا انقلابٌ نوعاً ما عظيم، خصوصاً في دولةٍ أحد الثوابت فيها هو (السرّ).

يجب التأكيد بأن المعلومة المرئيّة هي علمٌ قائمٌ بذاته. وهذا منجزٌ عن طريق كاميرا الطائرات والعموديات وطائرات بدون طيّار؛ والمطلوب تغييرات فنّية بحاجةٍ إلى اختيار زوايا للبثّ؛ بالإضافة لزوايا الهجوم والغارات.

نموذجٌ جيّدٌ للنشر الناجح للمادّة من هذا النوع كان التصوير من طائراتٍ عموديةٍ مهاجمةٍ لمحاولة الاعتداء على مسؤول كبير من حزب الله في سيّارته. المحاولة فشلت، والنتائج السياسية كانت سلبية في نهاية الأمر؛ لكنّ التكنولوجيا كانت صحيحة: طائرة عمودية تخرج لسيّارةٍ تسير في أحد شوارع قرية..تتهيّأ.. تُرسل صاروخاً .. السائق يقفز للخارج ويهرب، حيث توجد هنا كلّ مزايا فيلم عنف أو لعبة كمبيوتر. لكنّ هذا جزءٌ لا يتجزّأ من الحرب النفسية، وهو مهمٌ ولا يقلّ أهمية عن المجابهة نفسها. وقد تعلّم حزب الله هذا منذ مدّة. لذلك، علينا أن نعمل جهداً لنجعل طائراتٍ بدون طيّار تقوم بأعمال البثّ، والحصول على معلوماتٍ من الأقمار الاصطناعية والغوّاصات والدبابات.

إضافة إلى تجنيد المعلومة العسكرية ونشرها، علينا إقامة مشروع (تنظيم) لجمع المعلومات النفسية الثقافية، حسب ما ذكِر في فصل (أ)، حيث لا يمكن نقل رسالةٍ مقنعةٍ للعدوّ بدون معرفةٍ عميقةٍ بثقافته. وخلال العقود الثلاثة من قيام الدولة، كان (لإسرائيل) تفوّقٌ واضحٌ في هذا المجال في أعقاب هجرة

اليهود من البلاد العربية، حيث كان باستطاعة المهاجرين الذين خدموا في المخابرات إعطاء معرفةٍ عميقةٍ عن الثقافات العربية المختلفة في آسيا وإفريقيا. وهذه المعلومة لم تُستغلّ في معظمها لأهدافٍ استخباراتيةٍ ثقافية. ولكن، كان استغلالها لأهدافٍ استخباراتيةٍ تقليدية. الوضع اليوم هو أسوأ؛ أقلّية تتعلّم العربية بشكلٍ جيّد؛ ومن يتعلّم يتمّ خطفه في جهاز الاستخبارات التقليدي من أجل التصنت أو قراءة الصحف. والمتفوّقون بينهم لا يستطيعون الوصول لدرجةٍ معيّنةٍ يفهمون من خلالها الثقافة العربية بشكلٍ عميق، وخصوصاً أنها منقسمةٌ إلى عشرات الثقافات بسبب اختلافها من دولةٍ لأخرى ومن منطقةٍ إلى منطقة.

لهذا، علينا إقامة مشروعٍ يحاول أن يُكمل النقص. وهذه عملية بعيدة المدى، ولكنّها حيوية لاحتياجات الاستخبارات في المنطقة، والعلاقات السياسية واحتياجات السلام. فخرّيجي المشروع يجب إلحاقهم بصورةٍ طبيعيةٍ بوزارات الدولة أو الصناعة أو في كلّ جهةٍ عامّةٍ تعمل في العلاقات الخارجية. وهؤلاء سيساهمون في إيجابية هذه العلاقة على المدى القصير؛ وعلى المدى الطويل، سيساهمون في ربط (إسرائيل) بالمنطقة.

وهنا نؤكّد اليوم أنه لا تنفّذ أعمالٌ استخباريةٌ من هذا النوع. والمعلومات العسكرية الواسعة التي تُشرى من مخازن المعرفة والتجربة للمخابرات تفيد فقط تقريباً في الاستخبارات التقليدية. أما الاستخبارات الثقافية، فتوجد في إطارٍ بين كلّية الجيش والمجتمع. الدولة الأولى التي عملت مشروعاً كهذا هي ألمانيا النازية، حيث أن الألمان أقاموا كلّية خاصّة ساعدت كثيراً في نجاح

الدبلوماسية الألمانية عشيّة الحرب العالمية الثانية[28]. وحسب ما ذكِر أعلاه، يقيم الجيش الأمريكي إطاراً كهذا يطلق رسائل تلائم الأمم المختلفة.

تنسيقٌ وربط

ستقوم الهيئات التي يجب إقامتها على العمل في ظروفٍ تشبه عمل هيئة تحرير جريدة أو محطّة بثّ. ولهذا، يجب التزوّد بوسائل تكنولوجيةٍ مناسبة، والعمل على الربط بين الجيش والشاباك والموساد ووزارات الحكومة؛ ويجب إنجاز المعلومة بسرعةٍ لم نعهدها سابقاً. لذلك، يجب سد النقص وإكمال الدراسة بعمقٍ للعمل المكتبي وللضبّاط المتوسطين فما فوق.

وللإجمال، فإن هذه الخطوات هي بعيدة المدى وخصوصاً في المجال النظري. وهي تبدأ عملياً من لحظة الاعتراف بأهمية موضوع المعلومة في الحرب. وبالتالي، من الممكن أن نوجّه جهداً لصياغة رسائل مرئيّة، والحصول على معلومةٍ مناسبةٍ في وقتٍ حقيقيٍ من ساحة المعركة. ولتحقيق ذلك، يجب بذل جهدٍ كبيرٍ لتغيير ما يمكن تسميته بالسرّ الأمني و انسجام المعلومة مع الحرب في زمن المعلومة.

المستوى الحكومي: مجلس الإعلام الاستراتيجي

بعد أن عرضنا الأساسيات المركزية، من الممكن أن ننتقل إلى نماذج العمل الذي يجب أن يُقسم بين المستويين الحكومي والعسكري، حيث أن لكلّ واحدٍ منهما اتجاهات عملٍ مختلفة. وسنعرض هنا خيارين:

(28) - l.farrago, German psychological warfare (New York: putname&sons, 1942

الخيار الأوّل: خطّة استراتيجية، إذا لم يتمّ تبنّيها من الممكن أن تشير إلى اتجاهٍ عامٍ مرضيٍ ومرغوبٍ فيه؛ والثاني أن التدرّج المصغّر لا يحتاج إلى تغييرٍ تنظيميٍ انقلابيّ.

توصي الخطّة الاستراتيجية بإقامة مجلسٍ معلوماتيٍ استراتيجي،يكون هيئة عليا تركّز على المعالجة في الموضوعية، ويقارن وينسّق بين كلّ الجهات العاملة فيه. والهدف النهائي هو إعطاء خدماتٍ للحكومة ولهيئاتٍ أخرى فيما يتعلّق بالمعلومة الاستراتيجية[29].

الخيار الثاني هي لجنة متابعةٍ تتكوّن من 3-4 أشخاص، أصحاب صلاحيّاتٍ واسعة، تتبع مباشرة لرئيس الحكومة وللجنة رؤساء الخدمات. أدناه تفصيل الخطوات الفعالة حسب الخيار الأوّل.

لجنة رسائل

في إطار المجلس، تشكّل لجنة رسائل مهمّتها صياغة الرسائل المركزية؛ وهي أن (إسرائيل) تريد أن تنقل أفكارها للجماهير (الشعوب) المختلفة. في المرحلة الأولى، نحن ملزمون بأن ندمج وزارة الخارجية والأمن ومكتب رئيس الوزراء في إطارٍ واحد، خاصّة وأنهم أصحاب التأثير الأكبر في دائرة الرسائل الأولى، وليكون اختيار الرسائل وصياغتها أمراً بسيطاً. والمعارضة لإبداء التعاون بين وزارات الحكومة والهيئات المختلفة في اللجنة ستكون كبيرة.

(29) من الممكن أخذ العبرة من التسريب الذي جرى عبر صحيفة (النيويورك تايمز) بتاريخ 19-2-2002، حيث تمّ الكشف من خلالها عن إنشاء جهاز للمعلومات بميزانية كبيرة باسم (مكتب التأثير الاستراتيجي)، ووظيفته متابعة بعض الأمور التخريبية مثل « بثّ الإشاعات الكاذبة في الإعلام».

ويجب متابعة الدراسة مع المستوى العالي لكلّ المتحدّثين (الناطقين) والمدراء العامين لوزارات الحكومة ومحاولة البحث عن الخطوط المشتركة. و سيؤدّي الخوف العالمي من الإرهاب بأنواعه في أعقاب الهجوم على برجي التجارة العالمي والإرهاب البيولوجي إلى خلق فرصةٍ مناسبةٍ لتأسيس جبهةٍ مشتركةٍ ضدّ (إرهاب) (المنتحرين) في كلّ مكانٍ في العالم الغربي.

جمع معلومات نفسية

يجب أن تتضمّن نشاطات المجلس إقامة وحدة بحث، تجمع بادئ ذي بدء معلوماتٍ ثقافية ومعلوماتٍ عن الإنسان، من حيث معتقداته وعاداته وأعراقه ومعلومات تاريخية ونفسية؛ ومن هذا يتمّ تركيب مظاهر أو لمحاتٍ مختلفة لضبّاط أو جنود. وتنتقل هذه المظاهر اللمحات إلى لجنة الرسائل، وستساعدها في أعمالها.

سترتبط هذه الاستخبارات المدنية في جوهرها، بالاستخبارات العسكرية النفسية؛ وهي تختلف عن الاستخبارات التقليدية، لأن هدف هذه المعلومات من نوعٍ آخر أن تبحث عن الدوافع التي تحرّك شعباً أو أمّة. بإمكان شخصٍ أو مجموعةٍ أو رسائل أن تتغلغل عبر الأطر الاجتماعية والعسكرية و أن تخترق الحاجز الواقي لهذه الثقافات.و ذلك أن الاستخبارات التقليدية أسهل للتنفيذ نتيجة للاستخدام المباشر لأنظمة الاستخبارات القائمة، والذي سيضمن قوّة عاملة وإجراءاتٍ قائمة؛ و يجب أن نغيّر فقط توجيهات جمع المعلومات؛ و تظهر التجربة من حروب القرن العشرين بأن المصادر الممتازة للمعلومات

في هذه المواضيع هي من أسرى الحرب. لكن، يجب التأكد بأنهم لا يعطون المعلومة فقط لإرضاء المحقّقين.

الأجهزة الاستخباراتية: الشاباك والموساد

يجب أن يعمل المجلس بتنسيقٍ كاملٍ مع جميع أقسام الاستخبارات العسكرية والأمنية، ويجب تقسيم مجالات الصلاحية في مجال الاستخبارات النفسية والثقافية، مثلما حصل في مجال الاستخبارات التقليدية.ومعنى هذا أن المعلومات يجب أن تذهب في اتجاهين: بين المجلس وهذه الهيئات، وبين هذه الهيئات نفسها.

إنعكاسات دعائية

ستكون إحدى مهام المجلس هي تنسيق استشاراتٍ على المستويات العليا لصانعي القرارات في ساعات الحرب التقليدية، أو في أيّ شكل نزاعٍ آخر، حول ظروف الانعكاسات الدعائية الموجودة للخطط الموجودة للخطوات العسكرية والسياسية المختلفة. ويجب أن يكون الخبراء على مستوىً مهنيٍ عالٍ، مثل العاملين مع رئيس الوزراء والضبّاط الكبار في الجيش والشرطة من أجل أن يستطيعوا إيصال رسالتهم. و هكذا، سيمنع أيّ فشلٍ متوقّع، مثل: إرجاع (400) عنصر من حماس الذين أبعِدوا 1992، أو شكل انسحاب الجيش من جنوب لبنان سنة 2000. فهؤلاء الخبراء يمكن لهم أن يمنعوا أو يغيّروا صورة الخطوات المأخوذة بعد التفكير بالخطوات الدعائية المضادّة التي سيأخذها الجانب الثاني. كما أنه من الممكن الحصول على المساعدة من

تكنولوجيا الدعاية المضادة والتي ستخرِج الشوكة من الرسائل التي يتطلع العدوّ لاستنتاجها.

تنسيق وربط مع يهود الشتات

يجب إجراء تغييرٍ جذريٍ ومنظّم في العلاقات مع يهود العالم. فاليوم، تُعتبر العلاقة متخلّفة جداً. وهناك جهتان رئيسيتان تقوم على هذا الأمر وهما: الوكالة اليهودية ووزارة الخارجية (الإسرائيلية). وهاتان الهيئتان تعانيان من أزمة ثقةٍ في علاقاتهما مع الجمهور، نتيجة سلسلةٍ من التعيينات السياسية، ونقص فهم وحساسية وتعالي وتعجرف، تراكم مع مرور السنين. وتستطيع (إسرائيل) على مستوى العالم أن تقلّد الفلسطينيين الذين يستخدمون بشكلٍ كاملٍ شعبهم في الشتات؛ فهم يستغلّون القرابة الثقافية لأبناء المنطقة وعلاقاتهم الثقافية والاجتماعية من أجل إحضار الرسالة الفلسطينية للمجتمع المحلّي؛ و(إسرائيل) لا تستغلّ حتّى ولا جزءاً صغيراً من الخيارات التي يعرضها يهود العالم؛ ويجب أن يكون هناك قسمٌ خاصٌ لموضوع استغلال يهود الشتات من أجل نقل المعلومات لجماعاتٍ مختلفةٍ خارج حدود (إسرائيل). ويجب أن يكون هذا الأمر جزءاً من تنظيم العمل.

هناك استعدادٌ كبيرٌ لدى الطوائف اليهودية للعمل من أجل (إسرائيل) في مجال الإعلام. وهناك حاجةٌ إلى تنظيمٍ جديدٍ بميزانيةٍ قليلةٍ جداً من أجل ربط الشعب اليهودي مرة أخرى ببعضه. ومن الممكن استغلال الميل الايجابي وسط الطلاّب في الجامعات وداخل أوساط الجماعات، واستخدام أسلوب التأثير السياسي في الولايات المتحدة بواسطة تجنيد مواطنين من الهامش

لأعمالٍ سياسيةٍ من أجل تحقيق فكرة. وهذا الأسلوب استغِلّ بنجاحٍ كبيرٍ في الماضي، مثل استغلاله في مساواة الحقوق للسود خلال الستينات؛ ونشاطاتٌ كهذه لا تحتاج إلى ميزانياتٍ كبيرة. وحتّى اتفاقات أوسلو كانت نشاطاتٍ يهودية كهذه، لكنّها أوقِفت لأسبابٍ مختلفةٍ وتفرّق العاملون فيها. والآن، نحن مُلزمون بتجديدها وإعادتها وأخذ المعلومات من المرشدين والتقارير التي كتِبت في تلك الفترة.

يجب أن نشير إلى تطوّرٍ كبيرٍ عند الشعب الأمريكي، وهو جاهزية هذا الشعب وتجنيد نفسه دينياً لأجل (إسرائيل). ويوجد في هذا الجمهور طاقةٌ كبيرةٌ تبحث عن مصدرٍ للعمل، ولا تعرف المؤسسة القائمة الجماهير، و بالتأكيد لا توجد قيمة لتجنيدها. فالجمهور المتديّن يتدخّل في السياسة المدنية في عددٍ من المدن الكبيرة في أمريكا وأوروبا، ويقيم علاقاتٍ مع عددٍ من التنظيمات العالمية؛ وتكون التركيبة اللاصهيونية أقلّية في تلك الجماهير؛ مع ذلك، من الضروري في عملية تجنيد التنظيمات المتديّنة التجديد من جانب المؤسسة الأمنية (الإسرائيلية) والمجلس الجديد، حتّى نستعمل الجهد المدفون في الهيئات وهذه الأجسام.

وإذا كان الأمر كذلك، يجب علينا رسم هيكلٍ تنظيميٍ لكلّ الهيئات الحكومية والجماهيرية في إسرائيل، خاصّة صاحبة النشاط والعلاقات العالمية في إطار علاقات عملٍ أو تجارةٍ أو علاقاتٍ أخرى. ويجب إكمال الدراسة من أجل صياغة رسائل هذه الهيئات، والتفكير بدافعٍ مناسبٍ مع هذه الهيئات لتأكيد الصمود تحت ضغط وزارة الخارجية، بالإضافة إلى إمكانية إقامة

حلقاتٍ دراسيةٍ في البلاد وخارجها على أيدي رجالٍ مهنيّين في مجال علاقات الجماهير على المستوى العالمي.

إعادة تنظيم للهيئات القائمة

على الصعيد المدني: مكتب الصحافة الحكومي

إحدى مهام المجلس هي العمل على إعادة تنظيم مكتب الصحافة الحكومي، لجعله يتلاءم مع الألفية الثالثة. وهذه الهيئة أسّست من أجل أن تُكوِّن علاقة مع وسائل الإعلام الأجنبية. لكن، مع مرور الزمن أصبحت أعمالها هامشية؛ لا يمكن التغاضي عن مشكلة أن منزلة هذا التنظيم كهيئة حكومية دعائية؛ لكن، من الممكن التعاطي معها، وبالأخصّ مع قسم التصوير الغنيّ بالوثائق، خاصّة الذي يحتوي على أرشفة تصوير يناسب لكتاباتٍ استردادية. ويجب أن ينتقل التنظيم ليصبح مبادراً إلى مستوى التشغيل مصوّري الفيديو و الفوتوغرافي الذين تلقّوا إمتيازاتٍ من جانب النظام الحكومي، بالتقديم لقصصٍ فيها خدمة للمصالح (الإسرائيلية). وعليه أيضاً تقديم خدماتٍ على مستوى تنظيم إعلامي يعمل على مدار الساعة؛ وهكذا يستطيع أن يندمج في إطار رسائل سيتقرّر بشأنها مسبقاً، وسيزوّد بمواد مرئيّةٍ أو مكتوبةٍ بصورةٍ تخدم المصالح (الإسرائيلية).

على الصعيد الأمني: إستخبارات وحرب نفسية

من الصحافة (الإسرائيلية) يظهر أنه يوجد عند الجيش (الإسرائيلي) وحدة صغيرة جداً، مع صلاحياتٍ محدودةٍ مسؤولةٍ عن الحرب النفسية في الجيش[30]؛ لذلك، يبدو أن هذه الوحدة ليس لها وضعٌ محترمٌ في الجيش.

(30) «الغزو الفكري « صحيفة كل هعير (القدس) 1998.

علينا عمل إصلاحاتٍ على هذه الوحدة، وأن نمكّنها من أن تستوعب أسلوب الحرب النفسية على أساس المعلومة التي جمِعت خلال السنين ومازال محفوظة على المستوى التنفيذي في الجيش.

الشاباك والموساد:

بالنسبة لهيئات الاستخبارات الأخرى في (إسرائيل)، نرى أن المعلومة الوحيدة الموجودة حول الحرب (النفسية) ملقاة على عاتق الموساد، المهزوز بكلّ تأكيد. لكن، حسب الجهد الذي عمل لإسكاته، يمكن أن ننسب إليه ثقة معيّنة؛ المصدر هو كتاب "فكتور أواستروفسكي" عن الموساد(31) ، الذي كتب عن وحدة في الموساد مهمّتها تتضمّن بث قصصٍ كاذبةٍ في وسائل الإعلام العالمية من أجل التغطية على فشل وأخطاء (إسرائيل). على سبيل المثال، يتحدّث الكتاب عن فشل الموساد في منع محاولة الاعتداء على غولدا مئير في إيطاليا سنة 1973.

ومع أنه لا يمكن الأخذ بأقوال الكاتب على بساطتها، لكن هذه تقريباً الشهادة الوحيدة لوجود هذه الوحدة في الموساد، الذي بدأ بخطواتٍ صغيرةٍ للتعبير، حيث تُعدّ محاولات أوّلية لتجنيد أناس عن طريق الصحافة وعلاقات مع وسائل الإعلام بصورة غير رسمية وغير مؤسّسة مع صحفيين منفردين، مثل يوسي زلمان من هآرتس. وفي الشاباك أيضاً، هناك نقاشات مستمرّة مكثّفة فيما يتعلّق بتشغيل ناطق مهني.

(31) v.ostrovsky, c. hoy, by way of deception: the making and unmaking of a mossad officer (NY: st.martins press, 1990 p.1999).

المطلوب أن تتغلّب كلّ هذه الهيئات على التقاليد حتّى تجهّز نفسها لعصر المعلومة. ويجب تقرير مفهوم " السرّ " وإسهامه في تحقيق الأمن للدولة من جديد. وعلى الشاباك أن يأخذ في الحسبان النتائج النفسية لأعماله التي من الممكن أن تملي طابع الأهداف، أو أن تشكّل الأعمال حتّى تخفّف من تأثيرها. والتفكير بنتائج الحرب النفسية من الممكن أن يساعد أيضاً في وضع التقديرات نحو الهجوم الإعلامي المضادّ المتوقّع من العدوّ، حتّى يلغي تأثيره. وعلى الموساد إعداد تفكير استراتيجي شامل حتّى يتعاطى مع ميراث السرّية وتنسيقها وملاءمتها لعصر القمر الصناعي والكمبيوتر المحمول. وكلّ ذلك بحاجةٍ إلى وسائل كبيرة، ولكن في الأساس أهميّته كبيرة.

الناطق باسم الجيش:

يجب أن تمرّ وحدة الناطق باسم الجيش بتغيير. ذلك أن حالة الوحدة بعد حرب لبنان والانتفاضتان (في فلسطين) سيّئة، خاصّة أن حجم الوحدة وتطلّعاتها يعكس أسلوب عملها السيّء على المستوى العسكري. ففي الماضي، كان الناطق كأنه ناطق باسم رئيس الأركان، وهم (الناطقون) من تلقّوا جحيم نار الانتقاد حيث عملوا في معظم الأحيان كوحدة ردٍ وإجابة.

كلمة الوصل وهي مدى ترابط المعلومة. فالمعلومة يجب أن تصل خلال دقائق لغرفة الأحداث حيث تحدّد الشكل الصحفي والإعلامي لها (إعلان للصحافة، مجموعة فيديو، أوديو..). ومن هناك، ينقل للصحافيين حسب تقدير مهني. يجب على رجال الوحدة أن يحوزوا الوسائل التكتيكية المناسبة من أجل نقل المعلومة. على سبيل المثال، كمبيوتر يدوي أو مجموعة فيديو

أو كمبيوتر محمول؛ ويجب إكمال الدراسات بين الأذرع بشأن عمل نظام المعلومة؛ ومن الممكن ربط الاتصال غير المبرمج بين الوحدات وفي القيادات المتنازعة بين خلاف الصلاحيّات والخوف من فقدان السيطرة. رجال الوحدة يجب أن يعبروا إلى مرحلة تأهيلٍ صحفيةٍ طويلةٍ في إطار تهيئة أكاديمية، أو أن يأتوا من بين خرّيجي إذاعة الجيش .

ويجب أن نشير أنه حسب التعاطي مع الحرب في الألفية الثالثة، فإنه من المهمّ تخيّل الصورة وسط الجماهير المستهدفة والتي لا تقلّ أهميتها عن الإنجازات على أرض الواقع في الساحة، خصوصاً خلال الحرب على وتيرةٍ هادئة. لذلك، لا حاجة لتعيين ضبّاط لوحداتٍ مختارةٍ قبل دخولهم مرحلة تأهيلية مهنية في مجال صناعة وإدارة الاتصالات ووسائل الإعلام، بدءاً من الجنديّ ونهاية بضابط الوحدة؛ اليوم، وباستثناء الحالات المنفردة لرجال الإعلام الذين خدموا في وحدةٍ برتبةٍ قيادية، جميع الضبّاط يتلقّون تأهيلاً في إطار العمل، الوحدة يتمّ تعزيزها برجال احتياط كثيرين من الذين يعملون كضبّاط مرافقين؛ كثيرٌ من المراسلين الأجانب الذين خدموا في (إسرائيل) لديهم انطباعٌ بأن الكاريكاتير للخدمة في الوحدة وهو ليس بتأهيلٍ لغويٍ أو مهني، بل هو أمر علاقات؛ لذلك، يجب تكبير معمل الأيدي العاملة في الوحدة، ونشرها في أقسام الجيش وإعداد أعضائها، بحيث يستطيعون إعطاء جوابٍ في كلّ أنحاء البلاد خلال دقائق. و يجب إعطاءهم وإسنادهم في الصراع ضدّ الضبّاط المحافظين على سريّة السرّ الذي يسبّب ضرراً أكبر من نفعه.

و يجب أن يتأهّل رجال الوحدة بصورةٍ مكثّفة، وأن يساعدوا الضبّاط على الأرض، مع إعطائهم نصائح عن كيفيّة عمل لقاءات صحافية (اختيار خلفيّة، اختيار جمل افتتاحية، الصوت، تدريب قبل المقابلة، مساعدة بالإنجليزية..)؛ أيضا، هنا يمكن تشغيل ضبّاط ليسوا من مواليد دولة (إسرائيل)؛ سواء أكانوا في الاحتياط أو في الجيش النظامي. وحدة الناطق باسم الجيش يجب أن تُعدّ لإعادة نشرٍ من جديد في كلّ أنحاء دولة (إسرائيل)، خصوصاً في الضفة وغزة، ورجالها يجب أن يكونوا أصحاب صلاحيّةٍ مشابهةٍ لرجال أمنٍ يتمتّعون بقبولٍ مباشرٍ وتعاونٍ في كل مكان، بغضّ النظر عن درجتهم.

شريعة الحرب (الإسرائيلية)

نرى اليوم أن الوضع في المجال النظري شائكٌ جداً. فالتعريف القديم في الجيش (الإسرائيلي) للحرب النفسية يتحدّث عن كونها "مجالاً ثانوياً لحرب الاستخبارات"، وهدفها العمل لتغيير مواقف في وسط آخذي القرار أو جنودٍ في ساحة المعركة.و يجب أن نشير إلى أن المصطلح غير الواضح (الحرب الاستخباراتية) مأخوذٌ من تركة الجيش البريطاني. وعلى كلّ حال، فإن التعريف يحتوي على أساسٍ إذا ما فسّرناه تفسيراً واسعاً؛ فهو يعني بأن الحرب النفسية موجّهة أيضاً ضدّ الوسط السياسي.

التعريف الجديد للجيش (الإسرائيلي) يعرّف الحرب النفسية كحربٍ تُستخدم فيها الدعاية من أجل التأثير على مجموعة أشخاصٍ وسط العدوّ[32].

(32) التعريف الكامل للحرب النفسية أنها حرب دعائية ونفسية، الهدف منها التأثير على الفكر وعلى الشعور أوالتصرفات ضدّ الجماعة المستهدفة في صفوف العدوّ. والهدف من الحرب النفسية أيضاً هو زعزعة الأمن الذاتي لجيش العدوّ وإيمانهم بالنصر وفي تأدية المهمّة والواجب.

وهنا، من الممكن تفسير هذا التعبير "وسط العدوّ" بمغزىً واسعٍ يحتوي على الجانب السياسي. والتعريف مفيدٌ لأنه يفنّد التأثير إلى تفاصيل، مثل زعزعة الإيمان بالنصر أو زعزعة الأمن الذاتي. العائق المركزي هو الاستخدام الضبابي لمصطلح مثل "دعاية" من أجل توضيح فكرةٍ معقّدة، مثل حرب نفسية. التعريف هذا يذكّرنا بمحاولة (ديغرتي) خلال الخمسينيات بإعطاء تقديرٍ مناسب[33]؛ التعريف في هذا الشأن مهمٌ جداً، خاصّة وأنه يدخل مجال العمل في استخدام رسائل في أرض المعركة. اليوم، المجال العسكري والمدني لنقل الرسائل موجودٌ في أيدي عدّة عناصر، لكنّهم يفتقرون التعاون بينهم.

لذلك، يجب كتابة نصوص شريعة الحرب بشكلٍ مفصّلٍ حسب ما هو قائم لدى سلاح المدرّعات أو سلاح الجوّ من أجل بثّ وهج الحرب النفسية في كلّ أذرع القتال.الآن، هناك تحسيناتٌ أوّلية[34].

بداية، يجب كتابة نصوص شريعة الحرب للجيش (الإسرائيلي)؛ وبعد ذلك تكون الكتابة بمشاركة كلّ الأذرع. التنسيق المطلوب مثل عدّة النشر الموجودة بأيدي نفس الذراع (ستوديو طائر أو بحري)؛ القوى البشرية التي يشغلها العدوّ (جنود أو طيارون) والرسائل المقرّرة من ذلك، والنتيجة التنظيمية التي تتأتّى من هذه الخطوة، تتطلّب أن نتعاطى بداية مع السؤال: هل يجب إقامة هيئةٍ عليا لتركيز نشاطات كلّ سلاح (قوّة)، أو وحدات

---

(33) أنظر كتاب:

w.e.Daugherty &m. janowitz, a psychological warfare case book (Baltimore, md: johns Hopkins university press, 1958)

(34) العقيد المتقاعد (شموئيل نير) يعبّر عن هذا القصور في كتاب (السيطرة على الوعي) عندما تشكّل الحرب النفسية شكلاً متميزاً.

منفردة لكلّ ذراعٍ تأخذ المساندة من بعضها؟ لكلّ صورةٍ تنظيميةٍ فوائد ونواقص.

كتابة شريعة الحرب ستأتي بربح إضافي. والعمل بمبدأ شريعة الحرب سيُلزم بتوجيه أسئلةٍ صعبةٍ لعناصر كثيرةٍ في الجيش وفي الأجهزة الأمنية. هذا الشيء من الممكن أن يشجّع على التفكير وإعادة التنظيم من جديدٍ في جهاز الأمن.

أهميّة طواقم العمل

تحاول وزارات الإعلام مواجهة التحدّيات نتيجة التزوّد بالأفكار الخلاّقة والمدهشة بدون توقّف، حيث تمّ تطوير أساليب مختلفة للطموح، بتشغيل أناس عباقرة، خاصّة في مجال إجراءات اللقاءات الصحافية. والجيش وأجهزة الأمن بحاجةٍ لإنشاء أجهزةٍ لمهّماتٍ متشابهة؛ وسيكون تأهيل العناصر المعنيّة أعقد بكثير لأنهم بحاجةٍ إلى تدريب على جميع فروع وفصول الحرب النفسية في السياسة الشرق أوسطية؛ وستكون مهمّة هؤلاء تزويد هذه الأجهزة بالأفكار بدون تردّدٍ أو توقف، وذلك من أجل تحقيق الأهداف المركزية للحرب النفسية. والقصد من ذلك أن نجعل العدوّ في وضع الدفاع وليس المبادرة في الهجوم.

وهذه هي الاستراتيجية التي يتّبعها الفلسطينيون، مثل إعلانهم عن أسماء ضبّاط كبار في الأجهزة الأمنية بأنهم مجرمو حرب. وكانت النتيجة غير المباشرة والمفيدة في خارج البلاد، حيث شغلت الأجهزة القضائية في الجيش

(الإسرائيلي) ووزارة الخارجية.وهذه الطواقم تُستخدم في التكهّن لسيناريو الحروب النفسية المختلفة؛ فهم مستخدمون كمندوبي الشيطان، ويتنبؤون بأوضاعٍ لاستغلالها في الحرب النفسية.

هناك مشكلةٌ عمليةٌ متوقّعةٌ بعد فترة عملٍ معيّنة، حيث يبدأ الضابط حديث العهد في الدخول إلى المرحلة البرجوازية " قبل بدء عملية الإبداع لديه بالتعرّض للنقص ". لذلك، يجب تخصيص فترةٍ مناسبةٍ يكون بعدها الصحفي ترك وظيفته، ومن المعلوم أنه بالإمكان وضعه في مهمّةٍ أخرى من وحدات الحرب النفسية.

إنشاء تشكيلة عسكرية للاستنتاج والحصول على الرسائل الهادفة

إن المهمّة الصعبة والمركزية هي في استخلاص وبثّ الرسائل خلال زمنٍ قصيرٍ من لحظة الحصول عليها من ساحة المعركة، حيث الحاجة والفرصة لإرسال رسالةٍ مهمّةٍ إلى العدوّ. وعلى الأرض، فإن الرسائل (خاصّة البيانات) تُلقى على العدوّ في حالةٍ يتمّ التخطيط لها مسبقاً، وإن تجهيز البيان يتطلب وقتاً طويلاً. ففي البداية، يجب تحديد الحاجة على الأرض (الأمر الأكثر بساطة هو الدعوة للاستسلام)؛ ويجب التجهيز والربط بين الفكرة المرسلة حسب القواعد العامّة والتي تحترم شجاعة العدوّ، حيث يتمّ إشغاله في التفكير في نجاته، والإجابة حول الخشية من السقوط في الفخّ.

وبعد ذلك يجب بث معلومات متوافرة لدينا عن العدو مثل: أسماء قادة هامشيين متوسطي الرتب وأسماء قتلى و أهداف للعدو، وذلك من أجل

مفاجأته بمعرفتها، ومن أجل ذلك يتطلب الأمر الاتصال بأذرع المخابرات، وإن كان توجهاً شخصياً فإنه يتطلب توقيعاً من الضابط الكبير في المنطقة؛ وحينها، من الممكن طباعة هذا البيان على الورق؛ ويمكن بثّ هذا البيان عن طريق الطائرات المروحيّة. ويجب الاتفاق والتنسيق مع سلاح الجوّ حول الوقت ومكان التوزيع. وهذا تحدٍ لوجستيّ وعقليّ ليس بالبسيط.

من جانبٍ آخر، فإن المكاسب المتوقّعة من هذا البيان تكمن في إضعاف معنويات العدوّ والرضوخ والاستسلام والهروب من الجيش ونتائج أخرى تؤدّي إلى حقن أرواح البشر(35).ولذلك، يجب دراسة الترتيب المقترح للنهوض بحالة ضابط العمل في الحرب النفسية لوحدات المشاة، وإنشاء وحدةٍ عسكريةٍ تقدّم خدماتٍ لكلّ الوحدات في المنطقة. ويُعتبر استخلاص الرسائل في المجال التكتيكي عن طريق مكبّرات الصوت أو عن طريق رسائل مكتوبة. رسائل البثّ عن طريق مكبّرات الصوت هي الأسهل لجهة الحصول عليها واستخلاصها. لذلك، يجب وضع نصوص الهدف حسب القواعد العامّة والمقبولة وحسب الوضع القائم في المنطقة؛ ويجب بثّها بصوتٍ ونطقٍ ولهجةٍ صحيحة. أما البثّ، فيمكن أن يقوم به جنودٌ من الصفوف؛ وإن الرسائل المكتوبة يمكن نقلها للوحدات من خلال البريد الإلكتروني، ويتمّ طباعتها أو تصويرها ويتمّ إلقاؤها من الطائرات أو عن طريق قذائف الهاون.

(35) وزّعت خلال حرب لبنان (1982) بياناتٌ دعت رجال منظمة التحرير الفلسطينية للاستسلام. وهذه البيانات أزعجت كثيراً قادة المنظمة في المنطقة.

تكنولوجية – النشر والتأهيل

إضافة إلى الأساليب القديمة في نشر الرسائل التي كانت بدايتها الحرب العالمية الأولى، يكمن الهدف في التطوّر التكنولوجي في إيجاده وسائل جديدة في إرسال وبثّ المعلومات. وليس هناك أدنى شكٍ أن الحروب المستقبلية، وخاصّة (الإسرائيلية)، سيكون فيها الجنود مرتبطين بمواقع الإنترنت[36]، ومراكز المعلومات، وذلك من أجل جمع المعلومات في الوقت المناسب. وسيستغلّ الجانب الآخر التطوّر التكنولوجي من أجل تمرير معلوماتٍ تضرّ بالمعنويات أو رسائل مضلّلة. ولذلك، يجب الانتباه لهذا الأمر؛ وقبل أي شيء يجب الاهتمام بمركز المعلومات حيث يستطيع الجنود وأبناء عائلاتهم وبقية المواطنين الحصول على معلوماتٍ واقعيةٍ وصادقة. وفي حالة تطوّر الدول العربية من الناحية التكنولوجية المدنية، ستكون الحاجة لتقديم مواد معلوماتيةٍ تخدم الأهداف، خاصّة في أوساط جنود ومواطني العدوّ.

وإن كان هناك مواطنون هم معنا على دعوات اتصالٍ وتواصل، فبالإمكان إيجاد طريقةٍ لنقل هذه الرسائل لهؤلاء. وننظر إلى خارطة الإنترنت في جميع الدول العربية التي لها صلة مباشرة في الموضوع من أجل تمرير الرسائل لهم.

إضافة إلى الدول العربية، يجب أن نتوجّه إلى الدول المختلفة ونقوم بتجهيز قوائم البريد الإلكتروني في هذه الدول، خاصّة حول الرأي العام، من أجل إرسال رسائل حول الرأي العام تكون مجهّزة سابقاً؛ و SMS بواسطة

(36) من الممكن الآن إستخدام الهاتف الخليوي من نوع communicator وأنواع أخرى من خلالها يمكن الاتصال WAV.

الهاتف الخليوي هي أداة أخرى. فمن الممكن الوصول إلى هذه القوائم بطرقٍ بسيطة . كذلك، هناك واسطة تكنولوجية أخرى، وهي إنتاج أشرطة (كمبيوتر"أسطوانات") برسائل مختلفة، على اعتبار أنه في ساحة المعركة المستقبلية، سيكون للجنود العرب أجهزة كمبيوتر محمولة كما هو لقادة الجيش (الإسرائيلي)، وإن بثّ الرسائل يكون عن طريق شاشاتٍ كبيرةٍ أو عن طريق الليزر، وإن مثل هذه الأجهزة موجود لدى العوام، خاصّة في قاعات الأفراح والنوادي الليلية.

نقل الرسائل –بواسطة الإعلام المدني

<u>الراديو والتلفزيون</u>

يُعتبر الراديو وسيلة إعلام ناجعةٍ في نقل الرسائل. وهو وضِع تحت الخدمة السياسية في الثلاثينات من القرن الماضي باعتباره وسيلة رخيصة التكاليف وسريعة البثّ والإنتاج، ويمكن من خلاله بثّ رسائل مسجّلة مسبقاً؛ ومن أجل ذلك، علينا تحديد الترددّات والإعلان عنها. وبامكان محطّة الراديو البثّ لأغراضٍ معيّنةٍ عن طريق المحطّات (الإسرائيلية) الحكومية الرسمية. ومن الممكن إنشاء محطّةٍ إضافيةٍ معلوماتيةٍ للدول العربية في زمن الحرب وفي زمن السلام.

أساس العمل مهمٌ جداً في الحفاظ على الأمانة. فيُمنع بأيّ شكلٍ من الأشكال بثّ معلوماتٍ غير صحيحة. و ينطبق هذا المبدأ على التلفزيون؛ فليس من السهل على (إسرائيل) أن تحافظ على الصدق والأمانة حول ما

يتعلّق بالدول المعادية، لأن هذه المحطّات سيتمّ مهاجمتها باعتبارها محطّاتٍ لبثّ الدعاية المعادية، وأن الهدف الذي تسعى إليه هو أن يتعلّق المشاهد العربي بهذه المحطّة؛ وليقل بقلبه أنه يعرف أن هذا البثّ هو للدعاية الإسرائيلية البغيضة، لكنّه مهتمٌ أن يتطلّع إلى هذا البثّ وأن يحتفظ به لنفسه، وأن يقتنع بهذا. ولذلك، يجب بثّ برامج على مستوى عالٍ.

وحول ما يتعلّق بالبرامج، فإن الانحراف من جانب أناسٍ غير مهنيّين يؤدّي لإنتاج برامج "إستعلامية" (إسرائيلية) مضرّة لذلك، علينا أن نمتنع عن هذا الأمر. ويجب أن تكون الرسائل بصورةٍ غير مباشرة؛ والمقصود هنا أن لا نقوم بإنتاج أفلامٍ عن الديمقراطية في (إسرائيل)، ولكن دراما تشمل تصويراً للمظاهرات الكبيرة؛ وأن لا نتكلّم بالتفصيل عن مستوى الحياة العالي في (إسرائيل)، لكن يتمّ عرض مشاهد من المطبخ عندما تكون خلفية الصورة للرفوف في المطبخ مليئة بالأشكال والألوان المتعدّدة؛ وإن الوضع البائس اليوم يكمن في أن جميع المحطّات التي لا تبث بالعبرية تصارع بصورةٍ أو بأخرى من أجل البقاء، إن محطّة الراديو "صوت (إسرائيل) بالعربية" تتعرّض لصعوباتٍ ماليةٍ وأزمة موظّفين، على الرّغم من الاستماع الواسع في العالم العربي لهذه الإذاعة. و يضطرّنا وضعٌ كهذا إلى التغيير الجذري. وتبيّن بعد إنشاء محطّةٍ فضائيةٍ عربيةٍ تُدار من قِبل (إسرائيل) أنها قد أثارت القلق لدى الفلسطينيين[37].

(37) مقابلة مع رضوان أبو عيّاش « الإعلام المعادي «، صحيفة (كل هعير) 24-8-2001 ص7 إلى 76.

شبكة الإنترنت

ليس سراً أن الفلسطينيين وحزب الله تفوّقوا علينا في مجال الإنترنت. إن المواقع (الإسرائيلية) غير مجهّزةٍ وغير ثابتةٍ ومتميّزةٍ بالاهتزاز، في حين أن المواقع الفلسطينية ومواقع حزب الله متميّزة بالصور والأفلام[38].

من الأكيد أن الصور المرئيّة نابعةٌ من قراءةٍ صحيحةٍ للواقع. والزائرون لمواقع الانترنت لا يبحثون عن المقالات المفصّلة، لكنّهم يبحثون عن حاجاتٍ فورية. فمن خلال استثمارٍ بسيط، تستطيع (إسرائيل) أن تتطوّر في حضورها على شبكة الإنترنت من خلال بناء مواقع ومن خلال إقامة جهاز مساندةٍ لإقامة مواقع للتعاطف والتزوّد المستمرّ بالمواد المرئيّة.

ويدخل إلى هذه المواقع (الإسرائيلية) طلاّبٌ من العالم العربي. كما يدخل إلى المواقع العربية نظراؤهم (الإسرائيليون) إنطلاقاً من هذا التصوّر، وليس فقط من باب الالتزام الأكاديمي.واليوم، فإن هناك قوّة بشرية مدرّبة على مستوىً عالميٍ تبحث عن عملٍ بأي ثمن، فيجب استغلال هذا الخيار لتطوير الحضور (الإسرائيلي) في الإنترنت، والإجابة والمبادرة في بثّ الرسائل التي تسبّب القلق الكبير في صفوف العدوّ.

تأهيل القوى البشرية في مجال وسائل الاتصالات

وفي الختام، فإنه من المعلوم أن النشاطات الإعلامية التي ذكِرت آنفاً تتمحور حول التأهيل العام والواسع للطاقة البشرية في مجالات الإعلام

(38) www.moqawama.org/gallery/clip/v_agger.htm

المتعدّدة. وعلى الرّغم من الاعتراف بأهمية ذلك و معرفة مدى تأثير هذه الوسائل خاصّة التلفزيون، فلم يبذل أيّ جهدٍ حقيقيٍ ومركّز لتأهيل مندوبين إيجابيين.

إن أوّل من فهم أهمّية التأهيل المهني لوسائل الإعلام التلفزيوني كان (بنيامين نتنياهو)، ولحق به آخرون. ويبدو أن معظم الشخصيات العامّة وضبّاط الجيش الكبار يطوّرون في أوساط السكّان (الإسرائيليين). ويوجد القليل من بينهم من يستطيع إجراء لقاءٍ صحفيٍ لجهةٍ أجنبية، وليس فقط بسبب مشكلة امتلاك لغةٍ أجنبية، لأن الظهور في التلفزيون يتطلب ملاءمة للتصوير وقدرة على الحديث باختصار ولغة تصويرية وهدوء أعصاب؛ كلّ هذه الأمور، ماعدا (فنّ التصوير)، تتطلّب تدريباً طويلاً.

لذلك، يوجد ضرورة ملحّة للدولة أن تستثمر في مجال استغلال تأهيل أناس في تعلّم لغاتٍ متعدّدةٍ أجنبية، وخاصّة اللغة الإنجليزية. والعربية لا تقلّ عنها بالأهمية؛ فهذه نقطةٌ حسّاسة تمسّ كبرياء الجماهير؛ لكن، ليس هناك مهربٌ من المواجهة التلفزيونية. الفلسطينيون يعرضون ناطقين سلسين مثل (حنان عشراوي)، في حين أن عدداً كبيراً من أصدقاء (إسرائيل) في خارج البلاد تحمرّ وجوههم وتكفهرّ عندما يتمّ إجراء مقابلةٍ صحفيةٍ مع (إسرائيلي) رفيع المستوى في التلفزيون المحلّي.

تُعتبر المواجهة التلفزيونية وسيلة إعلامٍ مشهورةٍ ومنتشرةٍ ومفيدة، تتطلّب تدريباً مركّزاً. والنجاح في هذا الصراع هو في حكم الواقع حلمٌ بعيد المنال.

الخلاصة

في هذه الدراسة تمّ استعراض المشاكل الهيكلية للحرب النفسية في (إسرائيل)، وإمكانية حلّها، والطرق المناسبة لذلك. ويكمن مصدر المشكلة في الفهم والوعي، ومصدره الابتعاد والنفور اليهودي والديمقراطي من موضوع الدعاية، وإن صفة التصوّر الأمريكي في الوقت الأخير للمعلومات، في المجال الدبلوماسي وفي ساحة المعركة، تُعتبر على درجةٍ عاليةٍ من الأهميّة؛ وعلى جميع الأجهزة أن تعمل في تنسيقٍ كامل، وتمّ الإفصاح عن عدّة وسائل وأحداثٍ مختلفةٍ لاستخدام المعلومات حول الحاجة في التأثير على الجماهير، وفي نطاق النزاع (الإسرائيلي)-العربي، إستخدم الفلسطينيون وحزب الله هذه الأساليب وحصدوا نجاحاتٍ متعدّدة؛ فهم دمجوا بين التصميم والحزم والاستعداد والاعتراف الحضاري. فمن مبادراتٍ جذّابةٍ وبواسطة وسائل بسيطة، نقل ومرَّر الفلسطينيون رسائلهم (لإسرائيل) والعالم.

إن السنوات المتتالية من الإهمال ونقص الوعي والإدراك (الإسرائيلي) أسهمت في عدم قدرة الأجهزة على القيام بأيّ إبداعٍ مناسب.

إن البحث يقترح إطارين تنظيميّين وتفصيل المهّمات المراد معالجتها، مثل الدراسة الثقافية. وعلى التعاون الاستخباراتي وتأهيل الطاقة البشرية المناسبة، أن يمرّا من خلال تغييرٍ جذريٍ للتصوير والإدراك. ومن زمن حرب الخليج تغيّر أسلوب الحرب؛ في حين أنه من الناحية التكنولوجية، يوجد في (إسرائيل) تفاهمٌ حول ضرورة التجهيز في المعدّات، قانون الحرب والطاقة

البشرية. ومن الواضح أنه في مجال استغلال الحرب النفسية لأهدافٍ حربية، يوجد انتكاسٌ متواصل.

جيوشٌ كثيرةٌ على مستوى العالم تستثمر جهوداً لتطوير ودمج قانون الحرب النفسية بعد فوات الأوان. لحقن الدماء ولنكون أخلاقيين أكثر، فمن الأفضل إستخدام عملية الإقناع؛ وهذا مجال يتطلّب تدريباً وإبداعاً. لكنّ المصادر المالية تُعتبر قليلة نسبياً. إن التجاهل والحداد يعبّران عن الرفاهية والرخاء، و(إسرائيل) لا تستطيع أن تسمح لنفسها بهذا الواقع. فيجب العودة لمصادر الاستخدام التي ساعدت حتّى الآن في السير نحو الاستقلال، ويجب المواكبة وتنسيق العمل في هذا المجال؛ فالمصادر مكشوفة والمواد موجودةٌ وسهل الوصول إليها. وكلّ ذلك موجودٌ في الأرشيف في المكاتب وعند المتقاعدين من الأجهزة المختلفة في البلاد وخارج البلاد.

إن علينا النهوض والخروج من التصوّر- "السرّ" المحيط والمكتنف حول موضوعٍ كالحرب النفسية والأجهزة الأمنية. ولنبدأ بالتعرّف على حقيقة القوّة وتأثيرها النفسي في تحقيق النصر.

الفلسطينيون الذين لا يملكون الوسائل العسكرية والتكنولوجية المتطوّرة، فهموا من خلال خبرتهم السابقة ومن خلال تجربة الآخرين كيفيّة استغلال هذه القوّة جيّداً لصالحهم.

لم يبق لدينا إلاّ أن نعترف بالحقيقة، وهي أن نتعلّم من الفلسطينيين، وأن نعيد النظر سريعاً في وضعنا والعودة إلى حربٍ محتملة.

ملاحق

ملحق (أ): سيناريو خيالي

هوجمت دورية عسكرية خلال قيامها بمهمّة المراقبة على الخطّ الأخضر بالحجارة والزجاجات الحارقة. وردّ الجنود بإطلاق النار في الهواء، وأطلِقت باتجاههم بداية عدّة طلقاتٍ من سلاح خفيف. وخلال العملية، أطلِقت نار قنّاص من جانب مدرسة في المكان؛ ردّ الجنود بإطلاق النار وأصيبت طفلة جرّاء الشظايا. قائد القوّة أعاد تنظيم جنوده وهاجم موقع الكمين الذي أطلِقت منه النيران، وأصيب خلال العملية اثنين من الجنود؛ وتمّ استدعاء مروحيّة حامت فوق المكان والجنود المنسحبين؛ وأطلقت الطائرات طلقاتٍ تحذيرية (بالونات حرارية)، وتمّ توجيه نداءاتٍ للجماهير المتواجدة في المكان للتفرّق من خلال مكبّرات الصوت. وشملت الدعوة نداءاتٍ شخصية لقياديّي التنظيم المحلّيين من خلال ذكر أسمائهم والإشارة إلى ألقابهم السرية وأماكن سكنهم.

وقد صوّر أحد أفراد الوحدة الحادث من خلال كاميرا فيديو كانت ملصقة بخوذته العسكرية. وتمكّن من تصوير المنطقة المحيطة من خلال حركات الرأس. وهكذا تمّ تصوير أحد نشطاء التنظيم المحلّي، والذي أطلق عدّة طلقاتٍ من الذخيرة من خلال روضة أطفال؛ وأيضاً تمّ التقاط عدّة صور من خلال كاميرا مشبوكة على بندقية(جليل) القصيرة المخصّصة لها. وفي الطريق إلى القاعدة، كانت تنتظره طائرة أخذت منه الشريط وطارت به إلى مركز الإعلام اللوائي. وبعد ذلك، قام المصوّر بتوصيل كاميرا (ستيلس) الديجيتال

إلى جهاز كمبيوتر محمول وجهاز البلفون المعدّ لهذه المهمّة، وأرسل الصور عبر البريد الإلكتروني، وأرفقه بتقريرٍ قصيرٍ عن الحادث في تلك المنطقة إلى مركز المعلومات للناطق العسكري للجيش (الإسرائيلي).

وخلال عشرين دقيقة، تكدّس المراسلون في (إسرائيل) -أجانب ومحلّيون- وتمّ إطلاعهم على الأحداث. قسم الصور لوكالة (رويتر) أخذ حقوقاً كاملة عن هذه الصور الفوتوغرافية، وتمّ منحها (لرويتر) دون مقابل من الناطق العسكري، (رويتر) إستلمت هذه الصور بصورةٍ خصوصيةٍ بسبب أن طاقم المتابعة من قِبل مكتب الصحافة الحكومي لاحظ أن الوكالة أوقفت في الأشهر الأخيرة بثّ معلوماتٍ من جانبٍ واحدٍ ومن مصادر معاديةٍ دون أي رد (إسرائيلي).

في اليوم التالي، تمّ نشر هذه الصور في معظم الصحف الغربية. وكالة الأنباء الفرنسية AFD والتي ارتبط بها الفلسطينيون في صراعهم قبل عقد ونصف، لم يكن بإمكانها إلاّ عرض الصور وشريط الفيديو الذي أرسِل إلى قناة FOX NEWS خلال ساعةٍ من بدء الحدث؛ وبعد أن سحب عدّة نسخٍ منه، وأرسِلت واحدة منها إلى كتيبة وذلك من أجل القيام بعملية التحقيق والفحص، وتمّ بثّ هذه المواد في نشرة الأخبار، واتصل مدير شركة (CNN) ليقدّم شكوى بالتصرّف غير المناسب في تزويد المعلومات، قال (أن لا يكون اقتباس) لأن التوجيه جاء من مكتب رئيس الحكومة.

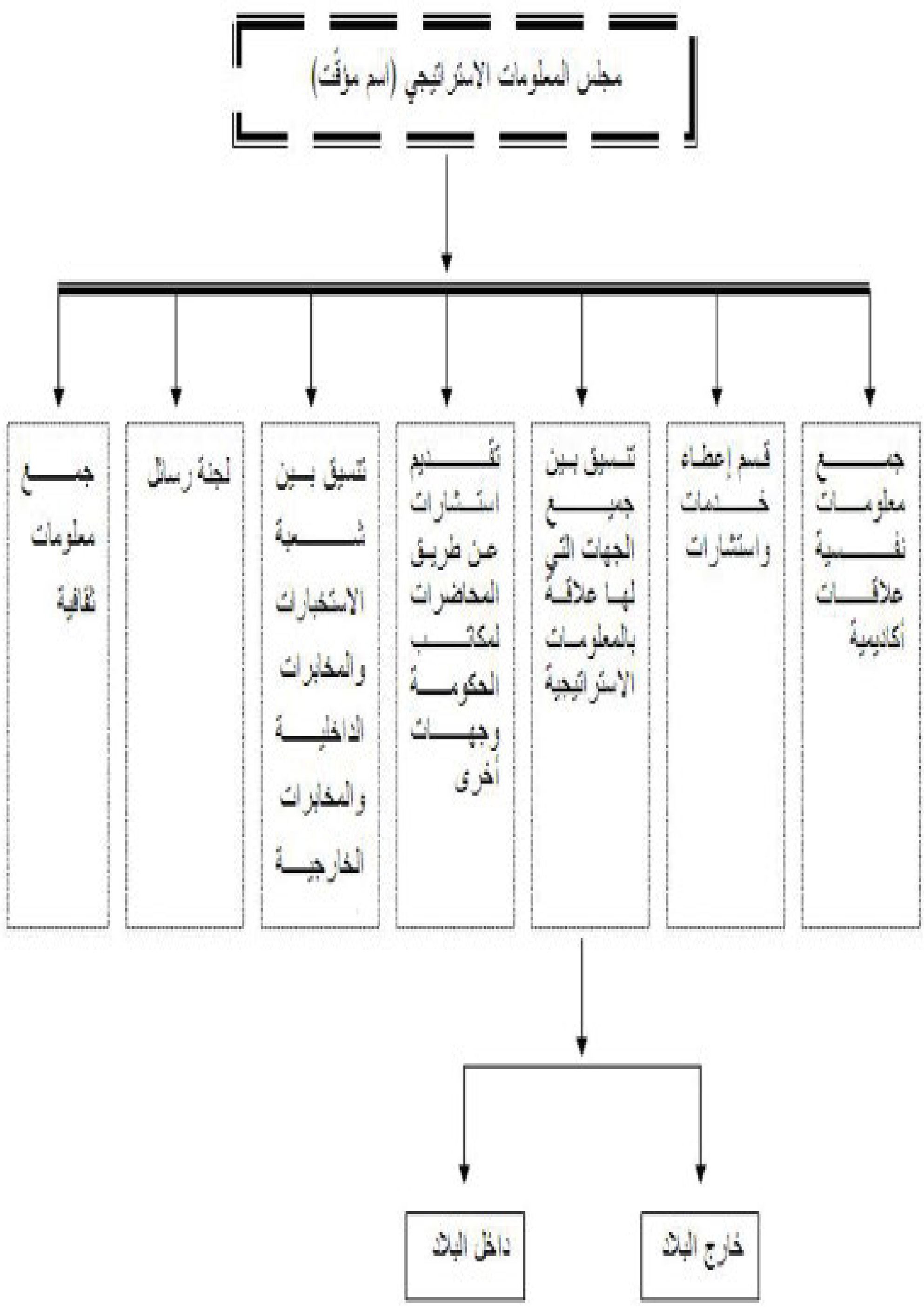
إن الصور الفوتوغرافية وصور الفيديو أرسِلت بواسطة تصاميم مناسبة

إلى ثلاث مئة موقع إنترنت وبثماني لغات بما فيها العربية. وفي الإجمال، فإن معظم المتلقّين لهذه الصور لا يتعاطفون مع استخدام الأطفال كرهائن!

وقد توجّهت (إسرائيل) بطلب إلى منظمة اليونيسيف THE CHILDREN SAVE للتحقيق فوراً في الحادث. وادّعت الدكتورة (حنان عشراوي)، سكرتيرة الجامعة العربية للعلاقات العامة، أن هدف (إسرائيل) هو قتل أطفال فلسطين، وأن هذه الصور غير حقيقية، مفبركة ومنحازة، ولم تلق صدىً في العالم.

بعد الحادث، أوضح الجندي الذي قام بعملية التصوير أن المعدّات التي زوِّد بها قديمة، بالإضافة إلى كاميرا الفيديو الديجيتال؛ وكان بالإمكان تقصير المسيرة (إيصال المعلومات) إلى ساعة. سلاح الجوّ قرّر فوراً تزويد الطائرات المروحية العسكرية بكاميرات فيديو تصلح للبثّ إضافة إلى معدّاتٍ خاصّةٍ للتحقيق.

ملحق (ب):مخطّط هيكلي لمجلس المعلومات الاستراتيجي



ملحق(ج): مخطّط هيكلي منظّم للحرب النفسية في الجيش الإسرائيلي

الحرب النفسية والقياد العامّة

